

مع الإمام البخاري في كتابه العلم من طريقه

المؤلف

الشيخ معوض عوض ابراهيم

الدار السلفية

الكويت


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مع الإمام البخاري
في كتابه
العلم من صحيحه

المؤلف
الشيخ معوض عوض ابراهيم

الدار السلفية
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين بيده الخير وله الامر واليه المصير، والصلاة والسلام على خيرة الله من خلقه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وجزى الله عنا نبينا بقدر ما أدى الى البشرية بأسرها من هدى ورحمة، وكان هو بها صلوات الله عليه، واقعا يمشي فى الناس، وما يزال، متمثلا فى سنته وسيرته، أسوة حسنة كما أراد الله. ورضى الله عن آل نبينا وصحبه، ومن تبعوهم على نهجه ودربه، يحفظون الدين صادقين، و يذبون عنه باطل المبطلين.

وبعد فهذه محاولة «مع الامام البخاري» اود ان يزداد بها الذين امنوا إيمانا بحفظ الله لسنة مصطفاه، وهو يقبض لذلك مثل أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى، ليكون بأخذه وعطائه برهانا يتجدد ولا ينفد على الجهد الذى بذل لتنقية السنة وصيانتها من كل دخيل عليها، لتبقى كفلق الصبح صفاء ونورا وعطاء.

واود ان تكون هذه المحاولة أسلوبا جليا يهتف بالاسوياء الاوفياء لله ولرسوله، أن يأخذوا من الامام البخارى بعض ما رَصَدَ من دأب، وأنفق من مثابرة وتوفر منذ صباه الباكر على السنة المطهرة، حتى نجد الحراس بمكانهم على حدود الحديث النبوى، يردون عنه باطلا وتحاملا بتعالى ضجيجهما، ولكنهما سيأخذان بأعناق فا عليهما، و يبقى دين الله ــ كتابا وسنة ــ على أصالته وشموخه، قمة تطيش دونها سهام الظالمين وسيجد الاخوة القارئون بين يدى الامام البخارى مدخلا يجلو دوافع تلك المحاولة وعجالة عن تدوين السنة نطل بها على الامام البخارى، تعريفا به، وابرازا للهبات الالهية التى اختصه الله بها، ومنها حبه للحديث النبوى، ومسيرته البرة بتوفيق الله فى هذا السبيل، حتى كان امير المؤمنين فى الحديث بجدارة وأهلية..

واذا كـان كثيرون قد تناولوا هذه الجوانب من الامام البخارى رضى الله عـنه،فعسى ان يكون فيما اعرض له من «كتاب العلم» فى صحيح البخارى، مز يد تذكير بأن الله مع الذين أخلصوا العزم، وصدقوا الله النية في اشرف ميدان، فكانوا أهـلا لـرضى الله وحمد عباده الذين يترسمون خطاهم فى رعاية السنة النبو ية بكل مـا اوتوا من قوة ..!! والله المستعان على كل خير، فلا بلاغ إلى خير إلا بالله، وهو يتولى الصالحين.

الباب الاول

« الفصل الاول»

١ ــ رصدوا اعمارهم للسنة

تعود بى الذاكرة إلى العام الدراسى ١٣٥٨ ــ ١٣٥٩ هـ وانا استعد للتخرج من كلية اصول الدين فى الازهر منذ اكثر من اربعين عاما ..

لقد كنا ندرس صحيح الامام مسلم بشرح النووى .. رحمها الله .. وكنا نحب ان نضيف الى الكتب المقررة وان كانت كشرح النووى لمسلم ما فى الامهات التى تنالها ايدينا، وتكون فى متناولنا، ولقد اتيح لى فى ذلك العام ان اجمع من شوارد العلم فيما يتصل بهذ، الاحاديث ما صَنّف كشكولا كبيرا، ولئن صنع هذا التاريخ الطويل بهذى الاوراق ما صنع، فاننى مازلت اذكر اننى كتبت فى مقدمتها من خفقات قلبى..

فانى احب المصطفى، وحديثه
شفائى من ادواء عالمنا الرجس
ولو كنت فى أيامه لفديته
بنفسى، كمن فدوه فى الامس بالنفس
اليك رسوله الله أسمى تحية
ترددها الدنيا، لمنزلك القدسي

وكم من مرة حاولت فيها أن اجمع شتات هذه الاوراق، لاقدمها للناس شعاعا على طريق السنة النبوية، وكانت تردنى مهابتى لرسول الله عما خَامَرَ، وخطر فى النفس .. وصحيح أن عملى فى مجال الدعوة كان يربطنى برسول الله صلوات

الله عليه، وأنني دعيت لتدريس أبواب مختاره من فتح البارى على صحيح البخارى، لطلبة السنة الاولى فى قسم التفسير فى الدراسات العليا بكلية أصول الدين عام ١٣٩٢ ــ ١٣٩٣ هـ فى الأزهر، واعان الله على تقديم دراسة للطلاب ــ مُعُدَّة للنشر .. لكن هيبتى لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تنمو مع الأيام، حتى تداركنى الله بمشاعر من حب رسول الله كانت مع هيبتى له صلوات الله عليه إحساسا جديدا دافعا الى ضرورة التصدى للكرات الشرسة التى تواجه السنة النبوية وأعان على ذلك أننى أعيش مع السنة النبوية والأطوار التى مرت بها منذ انطلق بها لسان المصطفى صلوات الله عليه وألسنة الكرام البررة الذين رَوَوْا عنه، ونقلوا كلامه وصفاته وتقريراته بنَوعيها والذين جردوا هذا التراث الكريم، وردوا عنه ما ليس منه، وكان حبى لهؤلاء الرواد الأوائل الذين عنوا بالمصدر الثانى للتشريع فى دين الله الخاتم، أمراً توجبه دواع كثيرة فى طليعتها، جدُّ هؤلاء فى التحصيل، وأنهم رصدوا حياتهم، وجندوا نشاطهم فى تقديم الحديث النبوي للأجيال فوق كل مقال، وأنهم رضى الله عنهم بآثارهم العلمية المتوارثة، وسلوكهم الذى التزموا به الاسلام التزاما كاملا بقوا علامات مضيئة يستهدى بها الذين استحفظوا شرف الكلمة وأمانة القلم، ليتضاعف جدهم فى دعوة المسلمين إلى مزيد من استرعاء كتاب الله، والاستهداء بسنة رسول الله بكل حال.

فبذلك ــ مرة أخرى ــ يمكن أن نحيا أيقاظاً حول كتاب الله وسنة مصطفاه، ولن يهلك من منحهما عنايته وأولاهما رعايته، واتخذهما منهجه فى كل ما يأخذ وما يدز .. ولقد صدرت منذ قريب بحثا لمجلة مشكاة النبوة ــ حولية كلية الحديث الشريف فى الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة ــ لعددها الأول .. وقلت فيه .. تجىء «مشكاة النبوة» فى إبانها، والحاجة اليها ماسة لترد باقلام الحق إلى صدور المبطلين سهاما صوبوها إلى السنة المطهره.

وتسكت بالحجة المسفرة ألسنة تقول ــ بغيا وعَدْواً ــ فى المصدر الثانى للتشريع فى الدين الخاتم ..

وتـقـدم مـن طارف الاضافات ما يقوم شهاده تتجدد، وتؤكد جهد اوائلنا رضـوان الله عليهم فى خدمة السنة النبو ية، وارساء قواعد بقائها ونقائها، واعلائها عـلـى الـشبهات والشهوات، وإن كان حفظ الله لكتابه العز يز مصداق قوله تعالى .. «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»(١) إيذانا بحفظ السنة، ولله في ذلك الفضل والـسنة والكلمات صدى لأسف مر ير من صنيع أقوام يلْقَوْنَ سنة رسول الله صلى الله عـليه وسلم بغير ما هى أهله من اكبار وتوقير، وهى أهل ذلك كله، ومثله معه، بمـصـدرها الأقدس، وبما أدته وتؤديه إلى أن يرث الله الارض ومن عليها من حوافظ عقيدة المسلم، وعبادته، ومنهاج حياته، وما وراء ذلك من جليل العطاء على النحو الـذى تخـاطـب بـه الـعـقـول والـقـلـوب والمشاعر الكريمة جميعاً، بالعبارة النبو ية، والأسـلـوب الفذ الذى يكاد يخلص له وصف الاعجاز بين كلام الناس بعد كلام الله تـعالى، والذى يعكس كمال النبى النفسى وما طبعه الله عليه من أدب نوه به رب العالمين في مواضع من كتابه ومنها «وانك لعلى خلق عظيم» (٢)

«لـقـد جـاءكـم رسـول مـن أنفسكم عز يز عليه ما عنتم حر يص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم» (٣)

«فبما رحمة من الله لنتَ لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فـاعـف عنهـم واسـتغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» (٤)

إن الـسـنـة الـنـبو ية تعكس هذه السنن الالهية فى رسول الله على نحو قد نـعـرض له عما قليل لمن ير يدون على ذلك الدليل، وطو بى لمن رآى نور الحق وسار فيه إلى منتهاه.

---

(١) الحجر/ ٩

(٢) القلم/ ٤

(٣) التوبة/ ١٢٨

(٤) آل عمران/ ١٥٩

٢ ــ ضلال يتجدد بأقوام ليتهم يسألون انفسهم ماذا حفظوا من السنة، وماذا عرفوا عنها؟؟

وإذا كان التحرش بالاسلام، قد أخذ صورا شتى فى عهود تضرب فى اعماق التاريخ فإنه اليوم ــ أكثر من أى عهد مضى ــ قد جاوز المدى، واستهدف السنة النبوية أكثر من غيرها من ركائز الدين العظيم، ومقوماته الجليلة..

وتظاهرت على ذلك قوى شريرة، بعضها .. واأسفا ــ من أقوام ينتسبون إلى الاسلام، و يُحْسبُون عليه، وما هم فى الحق منه ولا قلامة ظفر، وإن انعقدت لهم الزعامة فى بعض ديارنا، فهم أتباع كل ناعق!!

«يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين» (٥)

إنهم يستعلنون تارة، و يستخفون تارات، و يصارح بعضهم، ويخافت آخرون بكيدهم للاسلام، وضيقهم بالسنة رواية ودراية فى محاولة يعتبرونها إن هزت فى الأنفس إجلالها والتزامها لحديث رسول الله .. أقوالا وافعالا وصفات وتقريرات .. وهى حقيقة السنة ــ كان الانقضاض بعد ذلك، أهون على القرآن وأمكن فى التعفية على الاسلام..

«ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» (٦)

هؤلاء واولئك الذين عرفناهم فى مؤتمرات يتداعون إليها باسم السنة، ومن خلال دراسات لم يكتبوها بمداد، ولكن بمواد زريَّه من سواد قلوبهم وسخائم أنفسهم، وفى جامعات أُقيمت للعلم، وهى تغلف فى بعض جوانبها أدوات التخريب، ومعاول الهدم، .. هؤلاء وأولئك، يجمع بينهم المرض وسوء الغرض، والتماس جوانب من السنة، يحسبونها (تلين) تليق لمغامزهم، لينطلقوا منها إلى ما توهموا .. وهيهات.. فبعضهم يقول اليوم مقالة: موروثة من أمثالهم، وهى :

---

(٥) التوبة/ ٤٧

(٦) الأنفال/ ٣٠

«حسبنا كتاب الله» !! وهم أفراخ الذين عناهم رسول اله صلوات الله عليه بقوله:
«ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أر يكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه» (٧)
«وإنَّ ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله» (٨)
... وما صدق القوم فى قولهم : «حسبنا كتاب الله» قيد شعرة، وإنها لمقالة تشف عن كيد فيهم، وحقد، وسوء قصد . فكتاب الله ينادى من يسمعون و ينصفون.
... «وما اتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب» (٩)

٣ ــ السنة والقرآن متحداً المنبع ..

وهل أتى الرسول صلى الله عليه وسلم، الناس بشيء من عند نفسه؟ والله تعالى يقول «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى» (١٠)
و يقول «ولو تقول علينا بعض الأقاو يل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجز ين» (١١)
ولو ان أيسر شيء من ذلك كان، لتناقله عداه، ولما خفى على الرواة، وقد تركوا للأجيال من أقواله وأفعاله ما يجل وَ يَدّق، وما يخفي من شئونه الخاصة، صلوات الله عليه، وما ذكر الذين افتروا عليه الأكاذيب، وقالوا فيه بغير الحق!! إن القرآن والسنة متحدا المنبع والمصدر، أخرج الدارمّى قول حسان بن عطية

---

(٧) أخرجه أبو داود برواية المقدام بن معد يكرب جـ ٢ ص ٥٠٥
(٨) هذه ز يادة على ماذكر أوردها ابن ماجة ص ٩ حـ ١ والدارمى في سننه جـ ١ ص١١٧ ويجمع ذلك كله الترمذى عن المقدام حديث ٢٦٦٤ ط الاسلامية.
(٩) الحشر/ ٧
(١٠) النجم/ ٣ ــ ٤
(١١) الحاقة/ ٢٤ ــ ٢٧

«كـان جبر يل عليه السلام ينزل على النبى صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن» (١٢)

وعـن مـكـحـول قـال «قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: آتانى الله القرآن ومن الحكمة مثلية» (١٣) وقد ذهب كثيرون إلى أن الحكمة والحُكمْ، هما الفقه والعلم والقضاء بالعدل، وهل أجل مقاصد النبوة إلا هذه؟ كما يفهم من قرأ ص ٧٨ ـــ الرسـالـة لـلإمـام الشافعي واليغوى ح١ ص ٢٠٢ «شرح السنه» والله تـعالى يجلو لنا مقصداً من مقاصد: انزال كتابه على مصطفاه فيقول «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون» (١٤)

والامـام الـشافعي يقول «كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن » قال لقوله صلى الله عليه وسلم ..
«انـى لا أحـلُّ إلا مـا احـل الله فـى كـتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله فى كتابه» و يـقـول «جـمـيـع مـا تقوله الائمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح للقرآن» (١٥) فلا عـجـب أن يـوجـب الله .. جـلـت حكمته .. طاعة رسوله، واتباع سبيله، فى آيات ذوات عدد مِنْ كتابه مثل قوله تعالى..
« من يطع الرسول فقد أطاع الله» (١٦) ولا أدرى، ولا أحد من المنصفين يدري، كـيـف كنا نوحّدُ الله، ونعبده ولا كيف نستجيب لمثل قوله «فأقيموا الصلاة وآتوا الـزكاة» (١٧) وقوله « وأتموا الحج والعمرة لله» (١٨) وما وراء ذلك من احكام وتـكاليف، لو لم نأخذ المنهج فيها من عمل النبي صلوات الله عليه، وقد علمه مولاه ما لم يكن يعلم؟! ومن عمل صحابته الذين خرجتهم مدرسته؟! وقد قال صلي الله

---

(١٢) سنن الدارمى جـــ١ ص ١١٧
(١٣) أخرجه ـــ وما قبله ـــ أبو داود في مراسيله
(١٤) النحل/ ٤٤
(١٥) قواعد التحديث للقاسمي، والحديث اخرجه الطبرانى في الأوسط عن عائشة..
(١٦) النساء/ ٨٠
(١٧) الحج/ ٧٨
(١٨) البقرة/ ١٩٦

عليه وسلم «صلوا كما رأيتموني اصلى» (١٩) وقال «خذوا عنى مناسككم» (٢٠)

٤ ـ الاعتصام بالسنة ..

عن أبى نجيح العرباض بن سارية السلمى رضى الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وزرفت منها العيون، قلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» (٢١)

وقد أورد هذا الحديث بسنده العلامة القاسمي في كتابه «قواعد التحديث» وعرض طرقاً أخرى تزيد على الفاظه هنا بما يضاعف حق السنة النبوية فى الأهتمام والالتزام، واورد قول المنذرى في قوله صلى الله عليه وسلم «عضوا عليها بالنواجذ» فقال «اي اجتهدوا على السنة» والزموها، واحرصوا عليها، كما يلزم العاض على الشيء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته .. قال: «والنواجذ الأنياب أو الأضراس» (٢٢)

و يقول ابن الأثير الجزري «هذا مثل فى شدة الاستمساك بأمر الدين، لأن العض بالنواجذ عض بجميع الفم والأسنان، وهى أواخر الأسنان، وقيل التى بعد الأنياب» (٢٣)

ومهما اختلف القول فى القواطع والأنياب ـ والأضراس فان الأمر النبوى جلى في إيجاب الاستمساك بالسنة، والاعتصام بها فهى شارحة للقرآن،

---

(١٩) متفق عليه من رواية مالك بن الحويرث

(٢٠) الشيخان من حديث أبي موسى الأشعري

(٢١) الترمذي في كتاب العلم واخرجه احمد وابو داود وغيرهم

(٢٢) قواعد التحديث/ ١٣ ــ ١٤ ط مكتب النشر العربي

(٢٣) النهاية جـ٣ ص ٢٥٢ دار احياء التراث ــ بيروت

مفصلة لما اجمل منه مقيدة لما أطلق، مخصصة لما عمم، و بقدر حاجتنا للقرآن باعتباره المصدر الأول للتشريع، تكون حاجتنا للقرآن والسنة معاً فى الالزام بأحكام الدين، وتبقى الحاجة للسنة .. وهى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وعملا وتقريراً لأمور في كتاب الله، أو أمور زائدة عليه وهى مع هذه الأمور الزائدة يلحظ فيها قول الذين قالوا ان السنة قاضية على الكتاب، وأنها قد تستقل أحيانا بالتشريع، وماذا فى هذا؟! والرسول مبلغ عن ربه تبارك وتعالى، وهو الصادق المصدق بأمارة قوله عز وجل « وما ينطق عن الهوى، ان هو إلا وحى يوحى «النجم» » وقوله تعالى «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين .. الايات من سورة الحاقّة وفى ايجاب الله على المؤمنين طاعة رسوله، واتباعه دليل من أدلة على اشتمال القرآن الكريم على السنة المطهرة (٢٤)

وأرانى امام فصل ضرورى من كتاب «السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى» تحت عنوان «هل تستقل السنة بالتشريع» قد المحت إلى مقدمته فى بيان مكانة السنة من الكتاب، واعرض بتصرف إلى شيء منه، فهو دال قاطع لكل جدال فى هذا السياق»

قال رحمه الله «لا نزاع بين العلماء فى ان نصوص السنة على ثلاثة اقسام»

أولا: ما كان مؤيدا لأحكام القرآن، موافقا له من حيث الاجمال، والتفصيل، وذلك مثل الأحاديث التى تفيد وجوب الصلاة والزكاة .. من غير تعرض لشرائطها واركانها فإنها موافقة للايات التى وردت فى ذلك كحديث « بنى الاسلام على خمس ...» (متفق عليه) فانه موافق لقوله تعالى «واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» (٢٥)

---

(٢٤) شرح السنة للبغوي جـ ١ والسنة ومكانتها في التشريع الاسلامي للشيخ السباعي و يقول الامام ابن تيمية «فالحكمة منزلة عليه، وهي منقوله ه في غير القرآن «ص ١٢٨ جـ ٤ «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح»

(٢٥) البقرة/ ٨٣

ولقوله «يأيها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ..» (٢٦) ولقوله «ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ..» (٢٧) ومثل قوله صلى الله عليه وسلم «لا يحل مال امرىء مسلمٍ إلا بطيب من نفسه» (٢٨) فانه موافق لقوله تعالى «يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم» (٢٩)

ثانيا : ما كان مبينا لأحكام القرآن من تقييد مطلق، أو تفصيل مجمل، أو تخصيص عام كالأحاديث التى فصلت أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج والبيوع والمعاملات التى وردت مجملة فى القرآن، وذلك اغلب ما فى السنة.

ثالثا : ما دل على حكم سكت عنه القرآن، فلم يوجبه ولم ينفه، كالأحاديث التى أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو ...، وأحكام الشفعة، ورجم الزانى المحصن، وتغريب الزانى البكر، وإرث الجدة، وغير ذلك قال «ولا نزاع بين العلماء فى القسمين الأولين أى فى ورودهما، وثبوت أحكامهما، وكونهما الغالب على احاديث السنة»

واختلفوا فى القسم الذى أثبت أحكاماً لم يثبتها القرآن ولم ينفها بأى طريق كان ذلك؟! اعن طريق الاستقلال بأثبات أحكام جديدة؟! أم عن طريق دخولها تحت نصوص القرآن ولو بتأويل؟! وذكر أن الجمهور ذهبوا إلى الأول، وذهب الشاطبى فى الموافقات الى الثانى واستأنس بكلام للامام الشافعى فى الرسالة ص ٩١ ننقله عنه بنصه:

قال «فلم اعلم من اهل العلم مخالفا فى ان سُنَنَ النبى صلى الله عليه وسلم من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين، والوجهان يجتمعان و يتفرعان..
أحدهما : ما أنزل فيه نص كتاب، فبيَّنَ رسول الله مثل ما نص الكتاب

---

(٢٦) البقرة/ ١٨٣
(٢٧) آل عمران/ ٩٧
(٢٨) الديلمى عن أنس
(٢٩) النساء/ ٢٩

والآخر : ما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبين عن الله معنى ما أراد.. وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما.
والوجه الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما ليس فيه نص كتاب ..

١ ــ فنهم من قال: جعل الله له بما افترض من طاعته، وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب ..
٢ ــ ومنهم من قال:لم يسن سنة قَطّ إلا ولها اصل في الكتاب، كما كانت سنته تبين عدد الصلاة وعملها على أصل جملة فرض الصلاة، وكذلك ماسن من البيوع وغيرها من الشرائع، لأن الله تعالى قال «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل».

وقال وأحل «احل الله البيع وحرم الربا» البقرة/٢٧٥
فما احل وحرم فانما بين بَّين فيه عن الله، كما بين الصلاة..
٣ ــ ومنهم من قال: بل جاءته به رسالة الله، فأثبتت سنته بفرض الله .
٤ ــ ومنهم من قال: ألقى فى روعه كل ما سن، وسنته الحكمة التى القى فى روعه عن الله، فكان ما ألقى فى روعه سنته.

قال الشيخ السباعى ــ رحمه الله ــ وواضح أن مراده بالخلاف فى القسم الثالث، انما هو الخلاف فى مخرجه، هل هوعلى الاستقلال بالتشريع كما قال اصحاب القول الأول والثالث والرابع؟ أم بدخوله ضمن نصوص القرآن كما قال اصحاب القول الثانى؟!

وأورد رحمه الله حجج هؤلاء وأولئك وقرر ان الخلاف بينهم لفظى فقال .. «ويتلخص الموقف بين الفريقين فى انهما متفقان على وجود أحكام جديدة فى السنة، لم ترد فى القرآن نصا ولا صراحة، فالفريق الأول يقول: ان هذا هو الاستقلال فى التشريع، لأنه اثبات أحكام لم ترد فى الكتاب..
والفريق الثانى ــ مع تسليمه بعدم ورودها بنصها فى القرآن ــ يرى أنها داخلة تحت نصوصه بوجه من الوجوه التى ستذكر فيما بعد، وعلى هذا فهم يقولون : إنه لا

يوجد حديث صحيح يثبت حكماً غير وارد فى القرآن، إلا وهو داخل تحت نص أو قاعدة من قواعده، فإن وجد حديث ليس كذلك، كان دليلا على أنه غير صحيح، ولا يصح أن يعمل به».

ثم قال الشيخ السباعى رحمه الله «وانت ترى أن الخلاف لفظى، وان كلا منهما يعترف بوجود أحكام فى السنة لم تثبت فى القرآن، ولكن أحدهما لا يسمى ذلك استقلالا، والآخر يسميه، والنتيجة واحدة» (٣٠)

٥ ــ مقتضَى الايمان بالله ورسوله.

لا يؤمن بالله ورسوله كما أمَرَ الله من قدم بين يدي الله ورسوله كلام سواهما.. «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرةُ من امرهم ومن يَعْص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مُبينا (٣١)

و ينزع الله الإيمان عن أقوام فيقول «و يقولون آمنا بالله و بالرسول وأطعنا ثم يتولى فر يق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين، واذا دُعُوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فر يق منهم مُعْرضون..» (٣٢)

والخلافُ عن أمر رسول الله فى حياته و بعد مماته صلوات الله عليه انطلاقة حمقاء الى خزى الحياتين وشر الدار ين «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» (٣٣)

وكتاب الله وسنة مصطفاه هما نظام دين الله، وما يؤدىَ أوجب حق لله وهو طاعة ــ وطاعة رسوله صلوات الله عليه من طاعته ــ الا بمنهج القرآن والسنة، اللذين لا يرتفع الى مستواهما قول قائل، ولا ينال من سموهما تطاول متطاول

---

(٣٠) السنة في التشر يع الاسلامي للدكتور الشيخ مصطفي السباعى ٣٧٦ ــ ٢٨٣

(٣١) الأحزاب/ ٣٦

(٣٢) النور/ ٤٧ ــ ٤٨

(٣٣) النور/ ٦٣

«وما يعيب «الحق» إلاعيَّاب، ولا يضر الشمس ـــ كما قالوا ـــ نباح الكلاب، ولقد حكى الله مقالة قريش «لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تغلبون» (٣٤)

فبقى القرآن، و باء اللاغون بالمهانة والخذلاَن، الا من عصم الله بالايمان

مايضر البحر أَمْسَىَ زاخرا   إن رمى فيه غلام بحجر

وما على القرآن والسنة من بأس ان قصرت عن ادراكهما مدراك بعض الناس، وراحوا كالحمقى الذين يرمون الشجرة بالأحجار وهى تلقى اليهم بيانع الثمار!!

ولقد أرسل الله رسله وانزل كتبه كما قال «وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله» (٣٥)

وإن هدى الله وحبه ثمرة طاعة رسول الله، وأُتَّباعِه، وما أيسرهما حين نجرّد اليهما القصد ونستعين عليهما بالله الذي يتولى الصالحين «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحْبِبْكم الله و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم، قل اطيعوا الله والَرسول فإن تولوا فان الله لا يحب الكافرين»(٣٦)

«وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين» (٣٧)... وليت الذين يتناولون القرآن والسنة بجهالة وسفاهة يسألون أنفسهم ماذا حفظوا مَنهما؟! وماذا وَعَوْا من معانيهما؟! وهل أخذوا بعض الوسائل التي لابد منها لمن يحاول دراستهما، وتعميق النظر فيهما، وراء مايلقيانه من عبر وعظات وأحكام بدون معاَناة ولا عسر؟! وصدق الله العظيم «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر» (٣٨)

وفي غيبة الدين، وغفلة دعاة الحق تظهر الإمّعات، وتسري في الحياة دعوات الإثم وقد يلْقى الأدعياء الهادمون من الحفاوة بباطلهم، وتسليط أضواء الشهرة عليهم مايغريهم بالمزيد من الضلال، والإيغال في ابتذال اَلفكر، حتى تطلع

---

(٣٤) فصلت/ ٢٦

(٣٥) النساء/ ٨٠

(٣٦) آل عمران/ ٣١ ـــ ٣٢

(٣٧) النور/ ٥٤

(٣٨) القمر/ ٢٠

شمس الحقيقة فتختفي الخفافيش لامحالةٌ،و يولى الباطلٌ الأدبار خاسئا وهو حسير» وما يُبْدئ الباطل وما يُعيد (٣٩)

وهكذا اتصل صراع الحق والباطل منذ كان الناس، وهكذا واجهت السنة وتواجه من الآغرار، ولكنها تظفر دائما بالغلبه والانتصار، وهي أمانة فى اعْناق الذين تأسَّوْا بخير القرون».

عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلوبهم.. قال عمران فلا ادري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلا ثة..

ثم إن بعدهم قوما يشهدون ولا يُسْتَشْهدون ويخونون ولا يؤتمنون، و ينذِرون ولا يوفون، و يظهر فيهم السِّمَنُ» (٤٠) جـ ٨ ص ٥٤٧ وما بعدها «جامع الأصول» للجزري.

.. قال ابن الأثير الجزري، وزاد فى رواية « ويحلفون ولا يستحلفون» وأشار الى أخراج البخاري ومسلم والترمذي وأبى داود والتسائى له بألفاظهم..، والى رواية البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود، ورواية مسلم عن أبي هر يرة، وروايته عن عائشة،

.. وأبادر فأذكر أن كثير ين اجترأوا على سنة رسول الله صلوات الله عليه، ويجترئ فئام مثلهم عليها فى أعصار وأقطار، و يقولون بغير الحق في صحابة الرسول رضوان الله عليهم، وان دَيْنَهم لفى عُنُق كل مسلم حتى تقوم الساعة واذا كانت صفات الخلوف تصرخ في دنيا الناس كما ذكرها الصادق المعصوم صلوات الله عليه، فاننى الفت الأنظار الى قوله صلى الله عليه وسلم « و يظهر فيهم السِّمَن»

---

(٣٩) سبأ/ ٤٩

(٤٠) رواه البخاري في الشهادات، وفضائل اصحاب النبى والرقاق وغيرها.. ومسلم في فضائل الصحابة والترمذي في الفتن، وابو داود في السنة والنسائي في الايمان والنذور.

أو كما أخرج الامام مسلم من رواية أبى هر يرة رضى الله عنه «ثم يخلف قوم يحبون السّمانه»

.. ولن يُعْوِزَ أولى البصائر جهد لمعرفة أولئك في غير قطر، عبيد دنيا مؤثَرة، وهوى متبع، وانطلاق فى تيار قوِّى سياسية كافرة، يحسبونها تغنيهم يوم يغار الحق على دينه، و يأخذ الطغاة فلا يفلتهم..
«وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهن ظالمة ان أخذه أليهم شديد «هود/١٠٢

.. إن من هؤلاء من شغل وسائل الاعلام بلغو الكلام ومنكر الحديث فى هذه الأيام، وألف كتبا، ورغم أنه حَاوَرَ العلماء في بلاده فى زور ما رآي و يرى فى القرآن والسنة، و يئس ما قال، فَهو دلالة على خواء الروح، وعمى البصيرة، وفساد العقل، وماذا نذكر من قول رجل زعم وادعَى وأفك وافترى وتطاول على كتاب الله وسنة مصطفاه، ثم هدد وتوعد المسلمين ان هاجموه، ونقموا منه مايقول أن يخرج على الاسلام، و يضع المصحف على «الرف» و يكتب بلغة غيرعربية تبدأ من الشمال كما فعل اتاتورك في تركيا..» (٤١)
و يرحم الله الامام النووي فقد أورد في شرحه للحديث في رواية مسلم قوله:

«وقيل المراد بالسِّمن هنا، انهم يتكثرون بماليس فيهم، وَ يدَّعُونَ ماليس لهم من الشرف وغيره (٤٢)

إن الأقزام يركبون الصعب والذلول، و يصطنعون الأباطيل، و يتطاولون الى مالم يؤهلهم له علم ولا دراسة، ولا سؤال للذين قال الله فيهم «فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» (٤٣)

---

(٤١) المجلات الاسلامية في السعودية والكويت وراجع البلاغ ــ الكويت العدد ٤٧٨ في ٩٩/١/٢٤ في مقال للاستاذ مختار اسماعيل.. وراجع المجتمع الكويتية والدعوة السعودية.
(٤٢) شرح النوري على مسلم جـ١٦ ص٨٧
(٤٣) الأنبياء/ ٧

يفعل هؤلاء ذلك، تاركين مقتضيات الزعامة، ومتطلبات السياسة، التي لم يثبت لهم فيها أصبع، فينبهون الأذهان الى ضَالَتِهم وهم ينطحون بقرونهم الكليلة صرح السنة النبوية عادين جاهلين.. قبل أن ينصفوها بالنظر فيها.. و ياللّه لسنة مصطفاه..

٦ ـ من مدرسة الوحى..

ومن بحث بهذا العنوان لمجلة رابطة العالم الاسلامي في جمادي الأخرة ١٣٩٩ هـ قلت وفي اتباعه ـ صلوات الله عليه ـ الهدى، وفي الخلاف عن أمره الهلكة والرَّدىَ، فاختر لنفسك موضعا من موضعين يقول فيهما رب العالمين.

«وان تطيعوه تهتدوا..» النور ـ ٥٤

«ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا.. النساء/١١٥.

«فليس لأحد في أي مقام من مقامات الحياة أن يولىّ عن القرآن وجهه، أو يبتغى بعده غير هدايات النبى سبيلا.

وحمقى موغلون في الحماقة أولئك الذين أوتوا بعض السلطان فى غيبة الدين، وغَفْلَةِ الزمان، وهم يصدعون الرءوس، و يغثون النفوس بما يتحدثون به عن القرآن والسنة، وأمجاد السلف قبل أن يؤتوا من علم ذلك ولاقلامة ظفر وأية حماقة بل صفاقة أقبح من صنيع هذا الذي ير يد.. في أقل القليل ـ أن يحذف من القرآن الكريم مثل كلمة ـ قلْ.. التي خاطب الله بها مصطفاه صلوات الله عليه، بزعمه أن ماوراء هذا الأمر هو الذي يُحفظ و يُؤثر..

وعلى ذلك الذي يقحم أنفه فيما لا يحسن، وزرما شقشق به في كلام عن القرآن والسنة القولية والعملية والغزوات الاسلامية، وتفسير الأئمة الأعلام للقرآن الكريم..

«بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولم يأتهم تأو يله كذلك كذب الذين من

قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين.. (٤٤) ومن جهل شيئا عاداه كما يقولون..

ان اقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقر يراته هي الحكومة المرضية والحق المتَّبعَ، وصفاته مجال الاقتداء به كما أمرٌ الله المؤمنين..

«فلا ور بك لايؤمنون حتى يحكوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت و يسلموٌا تسليما (٤٥)

وأقواله وأفعاله وتقر يراته هي.. كما أسلفت مما هو اجماع الأئمة ــ بيان لِوَحْيِ الله وشرح وتفصيل وتأصيل لشرعه تعالى

«انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خَصيما.. (٢٧) آ هـ (٢٨)

«ومرة أخرى أراني أمام كلمات دالة لابن قيم الجوز ية رحمه الله، هي في ذلك المقام، أكثر من جهيزة التي قيل فيها «قطعت جهيزة قول كل خطيب»

إنه يقول في تفسير قوله تعالى»

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً من أمرهم ومن بعض الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً(٤٦)

«فدل هذا على أنه إذَا ثبت لله ورسوله في كل مسألة من المسائل حكم طلبى أو خبرى فانه ليس لأحد أن يتخير لنفسه غير ذلك الحكم فيذهب اليه، وان ذلك ليس لمؤمن ولا مؤمنة فدل على ان ذلك منافٍ للايمان»

«وقد حكي الشافعي ــ رحمه الله ــ إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أن من استبانت له سنَة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها تقول أحد قال ابن قيم رحمه الله « ولم يسترب أحد من ائمة الاسلام في صحة

---

(٤٤) يونس/ ٣٩

(٤٥) النساء/ ٦٥

(٤٦) النساء/ ١٠٥

قول العصوم الذي لاينطق عن الهوى وأما أقوال غيره فقانع أن تكون سائغة الا تباع فضلا عن أن يعارض بها النصوص أو تقدم عليها، عياذا بالله من الخذلان (٤٧)

أجل تعوذ بالله من الخذلان، وأي خذلان أشتع من الريب في كلام الرسول، والاجتراء على الأئمة الأعلام الذين يحترزون من القول عن الله وعن رسوله بغير تثبت أو تبين في الفكر الاسلامي كله لا فى القرآن والسنة والغازي والرجال وحدهم!

ولا بأس بأن أشبع الكلام في هذا المقام بالأسرار اللطيفة التي هي لمحات من نور الله هُدى اليها فيا هُدى اليه من الكثير الطيب ابن قيم رحمه الله فهو يقول في قوله تعالى

«يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وآولى الأمر منكم من النساء/ ٥٩ «فقَرن بين طاعة الله والرسول وأولى الأمر، وسلط عليهما عاملا واحدا، وقد كان ربما يسبق الى الوَهم أن الأمر يقتض عكس ذلك، فانه من يطع الرسول فقد أطاع الله ولكن الواقع هنا في الآية المناسب.

« وتحته سر لطيف، وهو دلالة على أن مايأمر به رسوله يجب طاعته فيه، وان لم يكن مأموراً به بعينه فى القرآن، طاعة الرسول مفردة ومقرونة، فلا يتوهم متوهم أن ما يأمر به الرسول ان لم يكن فى القرآن، وإلا فلا تجب طاعته فيه (٤٨)

والعبارة واضحة العنى، وإن كانت تحتاج الى تحرير ليس لعدم دقة ابن قيم ولكن يفعل النساخ فيا اعتقد!!

٧ ــ الرحمة المهداة

الرحمة المهداة او النعمة المسداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزفتْ نفسه عن زخرف الدنيا وترك للناس الدّين الذى دانت به لهم الحياة، وكان به المؤمنون خير أمة أخرجت للناس، وصارت الى بعضهم مقاليد سلطان لم يقع لهم

---

(٤٧) ص/٢٢ مجلة رابطة العالم الاسلامي

(٤٨) الأحزاب/ ٣٦

في خاطر، وليسوا هم بأولَى به من غيرهم لكنها الأقدار التي يلقى لها أهل (الايمان) الايمان العنَانَ و يتقبلونها من ربهم بارتياح وإذعان، ولا يفطِنُ الأغرار الى ان كل حال لضده يتحول، وإن الحياةَ كلها متاع يضمحل غدا، وفيها لار يب حكمٌ وسلطان لم يدوما لمن مضوا.. ورحم الله من قال

اذا كنت أعلم علم اليقين ..ان حياتي جميعاً كَساعَةْ
فِلمْ لاأكون ضنينا ..بها واصرفها في صلاح وطاعة؟!

عن أبي هر يرة رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال.. «بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، و بينما أنا نائم رأيتنى أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي» قال ابو هر يرة فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم تلغثونها او ترغثونها أو كلمة تشبهها (٤٦) وليت كثير ين يسمعون كلمة أبي هر يرة ان غابت عنهم عظة الحديث الذي رواه، إن الذين ينعمون اليوم برغد العيش الذي أتتهم بُشراه من رسول الله، ووضع لبقائه ونمائه منهجه الهادي فاشتغلوا بالنعمة، وجحدوا مُسديها، وشكر من أفرغ وسعه وهو يؤديها رسالة وديناً، ورَمَوْا الشجرة وهى تهديهم يانع الثمر بالحجر وراء الحجر، هؤلاء يَلْغَثُوْن خزائن الأرض أو يْرغَثونها..

قال ابن الاثير الجذرى « وانتم تلغثونها» أي تأكلونها، من اللغث وهو طعام يُغَلَّث بالشعير.. أي يخلط به.. قال «و يروى» تَرغثونها اى تَرضعَوْنها» (٥٠)

ــ وعن ابي موسى الأشعري عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«إنما مثلي ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أُتي قوما، فقال ياقوم اني رأيت الجيش بعينى، واني أنا النذير العُر يان، فالنَّجاءَ فاطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فأنطلقوا على مهلهم فنَجوْا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم،

(٤٩) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة صحيح البخاري

(٥٠) النهاية لابن الأثير جـ ٤ ص ٢٥٦

فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى، فاتبع ماجئت به، ومثل من عصانى، وكذب ماجئت به من الحق.. (٥١)

فلينظر كل قائل في كتاب الله وفي سنة رسول الله أين يضع نفسه؟!

ـ «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه، ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (٥٢).

ورحم الله ابن قيمّ الجوزيه فقد ختم في ص ٨ حـ ١ من «مدارج السالكين» كلاماً عن أهل التعصب والهوى فقال «فحقيق لمن لنفسه عنده قدر وقيمة ألا يلتفت لهؤلاء، ولا يرضى لها بما لديهم واذا رفع له علم السنة النبوية شمر إليه ولم يحبس نفسه عليهم.. (اهـ) والهدى هدى الله..

---

(٥١) البخاري في الاعتصام، ومسلم في الفضائل

(٥٢) الأنعام/١٠٤

الفصل الثاني

السنة بين التلقى والتدوين

٨ ــ كيف تلقى الصحابة السنة؟!

لم يتح لشيء من الكلام بعد القرآن الكريم من الحوافظ ماأتيح لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لم نسلف أن تأذن الله بحفظ كتابه الباقى، أذان الهى بحفظ السنة المطهرة ؟! لتتم بها منة الله على المؤمنين بأنزال كتابه في مثل قوله لمصطفاه.

«وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون »(٥٣)

٤٤ قال الشيخ الأمين الشنقيطى فى «أضواء البيان»

وقد ذكر الله تعالى فى هذه الآية

حكمتين من حكَم انزال القرآن على النبى صلى الله عليه وسلم..

احداهما:ــ أن يبين للناس مانزل اليهم في هذا الكتاب من الأوامر والنواهى والوعد والوعيد، ونحو ذلك، وقد بين هذه الحكمة في غير هذا الوضع ايضا كقوله تعالى..

«وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه..» (٥٤)

«انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله..» (٥٥)

---

(٥٣) النحل/

(٥٤) النساء/

(٥٥) أضواء البيان جـ٣ ص ٢٧٥

الحكمة الثانية: هي التفكر في آياته..... اهـ(٥٦)

وقد كان بيان الرسول لكتاب ربه أقوالا وأفعالا وصفات وتقريرات.. كما مر بين يديك مرات ـ وكان حَرْصُ الصحابة رضوان الله عليهم على الاحاطة بكل ذلك منقطع المثال، فهم يريدون أن يتبعوا ماأنزل اليهم من ربهم «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..» فاذا أرتوت أنفسهم بما سمعوا ورأوا منه، وبما حدثهم به الثقات الأدنون من أهله وصحابته، سألوا أمهات المؤمنين في بعض شأنه مما لا يقع في مجتمعهم، وكن رضوان الله عليهن يذكرن ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة، لمن يفزع اليهن من الرجال والنساء ابتغاء مزيد من العلم للعمل والاقتداء.

يقول الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله فى معرض الدلالة على حِرص الصحابة في التلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتّباعه «وقد بلغ من اقتدائهم به أن كانوا يفعلون مايفعل، و يتركون مايترك دون أن يعلموا لذلك سببا أو يسألوه عن عِلته وحكمته...» (٥٧) وأورد من صحيح البخاري عن ابن عمر رضى الله عنهما حديثا فيه نزع الرسول لخاتم اتخذه من ذهب وان الذين اتخذوا مثلما اتخذ نزعوه كما نزعه صلوات الله عليه.

وساق مثلا هو في الطاعة والتلقى على سواء يثير كل معاني حرص الصحابة في ذلك فيقول «بل بلغ امتثالهم أمر النبى صلى الله عليه وسلم ان فعلوا ذلك حتى فى شئون الدنيا فقد أخرج أبو داود (٥٤) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» عن ابن مسعود رضى الله عنه« أنه جاء يوم الجمعة والنبى يخطب فسمعه يقول: «اجلسوا».. فجلس بباب المسجد أي حيث سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذلك، فرآه النبى عليه الصلاة والسلام فقال له: «تعال ياعبد الله ابن مسعود» (٥٨)

---

(٥٦) السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي ص٥٣ ــ ٥٤

(٥٧) سنن أبي داود

(٥٨) السنة ومكانتها...

والصحابة رضوان الله عليهم بذلك الحرص و بغيره خليقون بأن يسلكهم الله مع نبيه فى سمط الإشادة به وبهم فى قوله تعالى.

«محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سُجَّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما.. (٥٩)... كان لهؤلاء الذين نوّه الله بهم ذلك التنو يه وضُرب بهم الأمثال فى التوراة والانجيل والقرآن، من شرف التلقي عن الرسول صلوات الله عليه في حياته مالا يدانيهم فيه سواهم، وما يرشحهم للثقة فى روايتهم عنه صلوات الله عليه، وان رغمت أنوف!!

يقول الامام ابن القيم الجوز يه رحمه الله.. وكان التلقى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حظ أصحابه الذين حازوا قصب السبق، واستولوا على الأمد، فلا مطمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق، ولكن المبرز من اتبع صراطهم المستقيم، واقتفى منهاجهم القويم، والمتخلف مَن عدل عن طر يقهم ذات اليمين وذات الشمال، فذلك المنقطع التائه فى بيداء المهالك والضلال».. وأشبع الامام القول في الصحابة فما غلا، ولاجاوز الحد فيمن جعلهم الله وزراء لنبيه، ونصراء مصطفين لدينه.. فلنرهف السمع اليه وهو يقول.

«فأي خصلة خير لم يسبقوا اليها؟ وأي خطة رشد لم يستولوا عليها؟ تَاللّه لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة، عذبا صافيا زلالا، وأيدوا قواعد الاسلام، فلم يَدَعُوا لأحد بعدهم مقالا فتحوا القلوب ــ بعد لهم بالقرآن والايمان، والقرى بالجهاد بالسيف والسنان، وألقوا الى التابعين ماتلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا، وكان سندهم فيه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، عن جبر يل، عن رب العالمين، سندا صحيحا عاليا، وقالوا: هذا عهد نبينا الينا، وقد عهدنا اليكم،

---

(٥٩) سورة الفتح/ ٢٩ وانظرعنها للكاتب في السنة/ ٣١ من مجلة التضامن الاسلامي السعودية

وهذه وصية ربنا وفرضه علينا، وهي وصيته وفرضه عليكم، فجرى التابعون لهم باحسان على مناهجهم القويم، واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم، ثم سلك تابعو التابعين هذا المسلك الرشيد، وهدوا الى الطيب من القول، وَهُدُوا الى صراط الحميد، وكانوا بالنسبة الى مَنْ قبلهم كما قال أصدق القائلين « ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين. (٦٠)

لقد اصطفى الله لِمصطفاه هؤلاء الصحابة اخوانا وأعوانا على أداء تكاليف أقوم رسالة، فَأَرَوْا الله من أنفسهم صفاء العقيده وخالص العبادة، وجلال السلوك في غير مجال.. وكان حرصهم على السنة بقدر شغفهم بالقرآن الكريم، يكتب الكاتبون مايبلغهم الرسول من آياته و يعمقونها في عقولهم وأفكارهم و يترجمونها أفعالا وأحوالا، حتى جمع الله لهم بذلك العلم والعمل كما قال صحابة رسول الله.ـــ

ويحفظون ماسمعوا من حديث رسول الله، و يتناو بون على شهود مجالسه ان شغلتهم تكاليف الحياة التي هي بمكانها من الدين الخاتم حتى ينقل الشاهد الى من لم يشهد ماكان من حال وما سمع من اقوال فيرتبطون جميعا بكل ذلك، وتقر في أعماقهم، وترسخ في خواطرهم.. كما رسجت في الراحتين الأنامل!!

و يصدرون عن ذلك فيما يقولون و يعملون بدوافع من حبهم لنبيهم، و يقينهم الواثق في آن التآسي به هو متطلقهم الى كمال دينهم ونظام دنياهم وآخرتهم»

٩ ــ وهكذا حرصوا بعد مماته

ما كان أصحاب النبى صلوات الله عليه، ورضى عنهم، على سواء فى استيعاب السنة، وحفظهم للحديث، ولاكان شيء من الصحف يجمع لهم عن

---

(٦٠) سورة الواقعة/ ١٣ ــ ١٤ وانظر أعلام المؤمنين جـ ١ ص ٦ .

نبيهم كل ذلك، وكان القرآن وحده محفوظاً في الصدور، مسطورا في الرقاع واللخاف (٦١) ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه، الا وهذه الأشياء متكاملة تعطى القران كله مرتبة الاستيعاب والتتابع والانتظام، الذي لا ينقصه الا ماتمَّت به نعمة الله تعالى بعثمان ذو النورين والمصحف الامام.. وفي نهاية بحث « جمع القرآن وتاريخه» يقول الشيخ محمد على سلامة رحمه الله «و يتلخص في هذا أمرين أحدهما: أن القرآن كله جمع ــ بمعنى أنه كتب جميعه ــ بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم بوساطة كتاب الوحي الذين كان يأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالكتابة، بعد أن كان مفرقا في العُسب والاكتاف، وغيرها، ولم يكن مجموعا بين دفتين..

ثانيهما أن كثيرا من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كثيرا منه على قدر ماأتيح له

وكانت كتابتهم له أيضا متفرقة غير مجموعة في مصحف واحد، وان صار مكتوبا جميعه عند مجموعهم، بمعنى ان هذا كتب كذا وذاك كتب كذا.. وقد يتفق عدد منهم فيما كتبوا، وقد يزيد أحدهم عن الآخر.. أي في عدد ماكتب ــ وقد يكتب أحدهم سورة أو أكثر غير ماكتبه الآخر وهكذا.. ولم يجمع النبى صلى الله عليه وسلم القرآن في مصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، ولما كان يترقبه أيضا من تتابع الوحى...» (٦٢)

وأشار رحمة الله ــ الى جَمْع القرآن في عهد أبي بكر كما روي البخاري عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه(   ) وأن المَعَوّل عليه من المصادر في جمع القرآن كانا

---

(٦١) الرقاع: واحداثها الرقعة التي تكتب ــ مختار الصحاح
اللخاف: اللخفة وهي حجارة بيضاء رقيقة ــ النهاية لابن الأثير
الاكتاف: الكتف وهو عظم عريض يكون في الكتف كانوا يكتبون عليه لقلة القراطيس ــ النهاية
الاعساب: عسيب وهي سعفة النخلة لبى عليها خوض النهاية
(٥٣) جامع الأصول جــ١ ص ٤٠.

(٦٢) من محاضرات ألقاها علينا ونحن طلاب في كلية أصول الدين بالأزهر عام ١٩٣٧ هــ

الحفظ والكتابة، وذكر ميزة الجمع على عهد أبي بكر بعد مظاهر الجمع في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الملامح المميزة للمصحف الامام الذي لم ينهد إليه عثمان الا بعد أن أستشار في ذلك الصحابة كما ذكر ابو داود قال الحافظ ابن حجر وكان ذلك في آواخر سنة أربع وعشرن واوائل سنة خمس وعشرين للهجرة.. ومع هذه العناية بكتاب الله كانت عناية الصحابة بالحديث النبوي بعد حياة النبي رواية من حفظهم، ونادراً مما كتبه نفر مثل عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وكان تحرى من يَرْوى ومن يسمع بارز الملامح، دالا على مزيد توقيهم وصبيانتهم للسنة أن يشوبها ماليس منها، اذ كان اعتمادهم ـــ رضى الله عنهم ـــ كما قال ابن الأثير الجزري «أولا على الحفظ والضبط في القلوب والخواطر، غير ملتفين الى مايكتبونه، ولا معولين على مايسطرونه، محافظة على هذا العلم كحفظهم بكتاب الله عز وجل»(٦٣)

ولا ريب أبدا في أنه قد جُمع في حياة الرسول من السنة ماكان عند علي وابن عمرو، وأبى شاه وأبي هريرة، وما كتب الرسول صلوات الله عليه لهرقل وغيرة في البلاد في جوانب الجزيرة يدعو أهلها الى الاسلام، وفي فتح الباري والنسائى والدارمى والترمذي ومسند أحمد من ذلك تفصيل لا يعوزك بعده دليل، وكذلك تجد في «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» (٦٤)

ولقد مر بك لماذا لم يجمع القرآن في حياة النبي صلوات الله عليه، وقد يفيد هنا أن نذكر أن الأحاديث النبوية لم تدون كلها في حياة رسول الله لأسباب نعرض لها عما قلي، لكن عرفان الصحابة لقدر السنة واعتبارهم لمكانتها في دين الله وحذرهم من وعيد الرسول لمن كذب عليه متعمدا صلوات الله عليه وتطلعهم الى عدة رسول الله لمن بلغ عنه.. كل ذلك وقر فى أنفس صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تدون السنة ـــ كما قال الشيخ مصطفي السباعى رحمه الله ـــ

---

(٦٣) ص ٩٨ وما بعدها ـــ والحديث لأبي ابي داود

(٦٤) ص ٥٦ وما بعدها.. الدكتور الشيخ السباعي

تـدو يـنا رسميا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما دوّن القرآن، وكيف تدون والـوحـي كـان يـتـتـابـع عـلي النبي، وكان على عهده من القول والعمل، اللذين يؤلفان جوانب هامة من السنة مع سلوكه وصفاته صلوات الله عليه.

كتابة السنة بين الجواز والمنع

وكـيـف يـكـتـبـون رضوان الله عليهم واوامر الرسول وتوجيهاته قد صحت كـلـهـا، وهـو يـأمـره مـرة بـالـكتابة عنه و ينهي عن ذلك مرة أخرى!! ولعل مراده صـلـوات الله عـلـيـه مـن الجـواز تـارةً، والمنع أخرى أن الكتابة كانت عسيرة على الـصـحـابة حينئذ، ولأنه صلوات الله عليه، خشِيَ أن يتداخل ماكان لفظه ومعناه مـن عـنـد الله وهو القرآن بما كان معناه من عند الله دون لفظه وهو الحديث النبوي كما مر بك في الأثر الذي رواه حسان بن عطيه(٦٥)

ورحـم الله الخـطـيـب الـبـغـدادي (٦٦) فقد الف في هذا السياق كتابه «تـقـيـيد العلم»، وأفرد القسم الثاني منه «لبيان العلة في كراهة الصحابة كتابة الحـديـث» وأورد فـي الـفـصل الأول مّن هذا القسم النصوص الدالة على خوفهم الانكباب على درس غير القرآن، وأن يُضَاهى بكتاب اللّه غيره» فقال رحمه الله

«فـقـد ثـبـت أن كراهة من كره الكتاب من الصدر الأول، أنما هي لئلا يُضاَهـى بـكـتـاب الله تعالى غيره، أو يُشغَلَ عن القرآن بسواه، ونهى عن الكتب الـقـديمة أن تـتـخـذ ــ ولـعـلـه يقصد أن لايُعتمد عليها ــ لأنه لا يُعرف حقها من بـاطـلـهـا، وصـحيحها من فاسدها، مع أن القرآن كفي عنها، وصار مهيمنا عليها، ونهـى عـن كـتـب الـعلم في صدر الاسلام وجدته، لِقلَّة الفقهاء في ذلك الوقت، والمـمـيـز يـن بين الـوحـي وغـيـره، لأن أكثر الأغـرار لَم يـكونوا فقهوا في الدين ولا جـالـسـوا الـعـلـماء الـعـارفين، فـلـم يُؤمَن أن يُلْحقُوا مايجدون من الصحف بالقرآن، و يعتقدَوا أن ما اشتملت عليه؛ كلام الرحمن (٦٧)

(٦٥) أبو داود في مراسيله وانظر قوله عن التحديث ص ٣٢
(٦٦) وهو من علماء القرن الخامس الهجري
(٦٧) تقييد العلم ص ٥٧

والحق بهاتين العلقين علة أخرى وهي «خوف الاتكال على الكتاب، وترك الحفظ به وأورد في ذلك نصوصا، وفيمن كانوا يكتبون، حتى اذا حفظوا ماكتبوه مَحَوْه، وفيمن نَدِموا على انهم لم يكتبوا به (٦٨)

وانتهى الخطيب في الفصل الثالث من هذا القسم، بايراد علة أخيرة لكراهتهم كتب العلم وهي «صيرورة العِلم الى غير أهله»..

وفيه أخبار من دفن الكتاب، وشواهد ونصوص من اعمال الجِلّة، وأقوال الأئمة رضى الله عنهم(٦٩)

ولقد أرخص الرسول صلوات الله عليه ـــ كما أشرنا قبلا ـــ لنفر من الصحابة، في كتاب الحديث، وقد مر بك اسماؤهم على نحو ما ذكر البغدادي وغيره من الائمة، وكان أكثرهم بعد هذا الاذن في الكتابة عبد الله بن عمرو (٧٠) رضى الله عنه..

ولقد ركز الخطيب البغدادي في بقية لأقسام على مناقشة حديث أبي سعيد الخذري رضى الله عنه «كنا لانكتب الا القرآن والتشهد» (٧١)

ويسعف الامام ابن حجر وهو يشرح ترجمة الامام البخاري، بكلام في هذا السياق فيقول رحمه الله:

«باب كتابة العلم» لحديث أبي جحيفة: قلت لعلى: هل عندكم كتاب؟ قال: لا،الا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو مافي هذه الصحيفة» قال قلت: فما في هذه الصحيفة؟! قال: العقل وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر(٧٢) وأورد ابن حجر لطيفة.. من لطائفه قد يرد مثلها وهو يبين طريقة البخارى في الأحكام التي يقع فيها الاختلاف «ان لايجزم فيها بشيء بل يوردها على الاحتمال» قال

(٦٨) المصدر السابق ٥٨ ـــ ٦٠
(٦٩) المصدر السابق ٦١ ـــ ٦٣
(٧٠) حديث أبي هريرة في مسند أبي هريرة لأحمد
(٧١) وقد اورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» جـ ١ ص ٧٦ و «تقييد العلم» ٩٣ ـــ ٩٤
(٧٢) المصدر السابق

«وهـذه الـترجمة من ذلك لأن السلف اختلفوا في ذلك عملا وتركا وإن كان الأمر قـد استـقـر والاجمـاع اعنقد على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لايبعد وجوبه على من خسشى النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم»(٧٣)

وانتهى ابن حجر من الكلام عن حديث ابي هريرة رضى الله عنه «مامن أصحـاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد اكثر حديثا مني الا ماكان من عبد الله بـن عـمـرو فـأنـه كان يكتب ولا أكتب» الفتح ح ــ ١ ص ٢٠٦ كتاب العلم» فقال:

و يـستـفـاد منه ومن حديث علي رضى الله عنه، ومن قصة أبي شاه، ان الـنبـى صلى الله عليه وسلم اذن في كتابة الحديث عنه، وهويعارض حديث أبي سـعـيد الحذرى رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال» لا تكتبوا غير الـقـرآن ــ الحديث رواه مسلم وهوفي شرح النووي جـــ حـــ ١٨ ص ١٢٩ ــ ١٣٠ «باب التثبت في الحديث وحكم كتابته»

١٠ ــ مقطع الكلام في هذا المقام

وجمع ابـن حـجر رحمه الله بن الأحاديث الأولى وحديث ابن سعيد فقال «أن النهـي خـاص بـكـتـابـة غير الـقـرآن مـع الـقرآن في شيء واحد، والأذن في تـفـريقهما» أو النبي متقدم، وإذن ناسخ له، عند الأمن من الالتباس، وهو أقربها، مع أنه لاينافيها»

دليل النهي خاص بمن خشيِ منه الا تكال على الكتابة دون الحفظ ، والاذن لمن أمن منه ذلَكَ»

قـال «ومنهـم مـن أعـل حديث ابي سعيد رضى الله عنه، والصواب وقفه على أبي سعيد كما قال البخاري وغيره»

---

(٧٣) فتح الباري جــ١ ص ٢٠٤ السلفية

قال «قال العلماء» كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يوخذ عنهم حفظا، كما أخذوا حفظا، لكن لما تقاصرت الهمم وخشى الائمة ضياع العلم دَّونِوه (٧٤) ومن المفيد ان أذكر قول الخطيب البغدادي (٧٥) من جليلته « تقييد العلم» قال ابو سعيد هو الذي روى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تكتبوا عني سوى القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» ثم هو يخبر انهم «كانوا يكتبون القرآن والتشهد» وفي ذلك دليل على أن النهى عن كتب ما سوى القرآن، انما كان على الوجه الذي بيَّناه من ان يُضاهي بكتاب الله تعالى غيره، وأن يُشتغل عن القرآن بسواه، فلما أُمِنَ ذلك، ودعت الحاجة الى كتب العلم، لم يكره كَتْبه، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد.. ولا فرق بين التشهد و بين غيره من العلوم، في أن الجميع ليس بقرآن.. ولن يكون كتب الصحابة ماكتبوه من العلم، وأمروا بكتبه الا احتياط كما كان كراهتهم احتياطا.. (٧٦)
١١ — وللشيخ مصطفي السباعي رحمه الله في كتابه « السنة ومكانتها....» ص ٦١ تلخيص واعٍ لما أوردت من كلام الأولين نضر الله وجوههم.. أوردهنا منه قوله

« واعتقد انه ليس هناك تعارض حقيقى بين احاديث النهى، وأحاديث الاذن.. اذا فهمنا النهى على انه نهى عن التدو ين الرسمي كما كان يدوَّن القرآن.. وأما الإذن فهو سماح بتدو ين نصوص من السنة لظروف وملابسات خاصة.. أو سماح لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنة لأنفسهم..

«وقد أورد في ذيل .. هذا الكلام مايؤكده وهوقول الخطيب البغدادي في تفسير العلم» (٧٦) عن الضحاك — أحسبه ابن قيس — من قوله «لا تتخذوا للحديث كرار يس ككرار يس المصاحف» ثم أتم كلامه الأول فقال

---

(٧٤) جـ١ الفتح ص٢٠٨ كتاب العلم
(شرح النوري على مسلم جـ١ ص ٢٤٤ — ٢٤٥ وجواز كتابه الحديث «وجـ١٨ ص ١٢٩ — ١٣٠ باب التثبيت منه

(٧٥) من علماء القرن الخامس الهجري

(٧٦) «تقييد العلم» ٩٣ — ٩٤

«والتأمّل في نص حديث النهى قد يؤ يد هذا الفهم، اذ جاء هذا مخاطبا فيه الصحابة جميعا، لا يقال: ان ذلك يقتضى أن يكون الحكم باقيا على الحرمة مادام السماح لظروف خاصة، ولأشخاص معينين. لأننا نقول :
ان سماح الرسول لعبد الله بن عمرو بكتابة صحيفته، واستمراره في الكتابة حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، دليل على ان الكتابة مسموح بها في نظر الرسول، إذا لم يكن تدو ينا عاما كالقرآن.

و يؤكد الاذن بالكتابة، ماجاء فى البخاري عن ابن عباس «أنه لما أشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال: ايتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده (٧٧) ولكن عمر حال دون ذلك بحجة أن الرسول قد غلبه الوجع، وهذا مما يؤ يد الرأي القائل بأن آخر الأمر ين، كان هو الإذن لا كما ذهب اليه المرحوم رشيد رضا ــ مجلة المنار مجلد ١٠ جــ ١٠ «من أن الإذن وقع أولا ثم نسخ بالنص..

١٢ ــ استرسال ضروري

ان هذا الاسترسال هادف، ومن أبرز مغاز يه مايجلوه من حرص الصحابة على حديث رسول الله كتابة أو تركا.

هذا الى ماوراء ذلك من كراهة كثير ين من الصحابة أن يقبلوا كل حديث حتى يقدم راو يه الشهود على أنه من كلام رسول الله، من الصحابة أنفسهم كما فعل عمر وابن عباس وغيرهما، وكما فعل أبو بكر على قلة فى ميراث الجدة بخاصة وقد اعلها ابن حزم في الاحكام

ــ وكان الصحابة رضوان الله عليهم في موقف الحذر والاحتياط أبدا حيال حديث رسول الله فكلما دعتهم انفسهم الى رواية حديث نبوي تمس الحاجة اليه،

---

(٧٧) والحديث أخرجه كذلك مسلم.. وغيره

ورغبة في نضرة الوجوه من دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم «نضر الله امرء سمع منـا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى من سامع» (٧٨) .. أخذ منهم الخوف مأخذه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» رواه انس رضى الله عنه (٧٩)
وهو في روايات أخرى «فليلج النار» ان كذبا على ليس ككذب على أحد».. يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله وهو يذكر حديث «نضَّر الله امرء... الحديث» وحديث «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» (٨٠)

وهكذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته بتبليغ السنة الى من وراءهم مع التثبيت فيما يروون «كفى بالمرء اثما أن يحدث بكل ماسمع» أخرجه مسلم عن أبي هريرة فلم يكن بد من أن يصدع الصحابة بالأمر، و يبلغوا أمانة الرسول الى المسلمين وخصوصا وقد تفرقوا فى الأمصار، وأصبحو محل عناية التابعين والرحلة اليهم، فكان التابعون يتتبعون اخبارهم ومواطنهم، فيرحل اليهم من يرحل على بعد الشقة وعناء الأسفار، ( )

«هذا كله كان عاملا في انتشار الحديث وانتقاله الى جمهور المسلين» (٨١).. وكلامه رحمه الله بعد ذلك خليق بالاعتبار، فهو يناقش به غيره من المتحدثين في خبر الواحد وفي صنيع أبى بكر وعمر وعلي مع الرواة، وفي بيان من اشتهروا بكثرة الرواية عن رسول الله بعد وفاته، ورحلتهم رضوان الله عليهم في طلب حديث رسول الله الى الأمصار حتى قال»
«و بذلك ابتدأت رواية الحديث تأخذ في السعة والانتشار، و بدأت الأنظار تتجه بعناية شديدة اكثر من قبل الى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحرص التابعون على لقياهم ونقل مافي صدورهم من علم قبل ان ينتقلوا

---

(٧٨) اخرجه احمد والترمذي وابن حبان عن ابن مسعود
(٧٩) متفق عليه وهو بألفاظ متقاربة من أبن أنس
(٨٠) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم جـ ١ ص ٤١ عن أبي بكرة
(٨١) ص ٦٢ من «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي»

الى الرفيق الأعلى، وقد كانت زيارة الصحابي لمدينة من المدن الاسلامية كافية لأن تجمع اهل المدينة كلهم حَوله، و يشتد الزحام ساعة وصوله وتشير الأصابع أن هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم» (٨٢)

أجل (ان) انداحت رقعة العالم الاسلامي وصارت أمصاره منازل لهؤلاء الصحابة بعد فتحها، وسلكت السنة النبو ية بتوفيق الله من العصر الأول وهي بيضاء نقية كفلق الصبح، وماء السماء، الى العصور التالية بصحف قليلة وصُدور واعية تفرقت في الأمصار بفعل الأحداث والحروب الاسلامية وضرورة قيام الاسلام حكما وتطبيقاً فى تلكم الديار.

فلقد عاش عبد الله بن عمرو بن العاص جل حياته فى مصر، بعد أن أعزها الله بالاسلام وخلصها من ظلم وضيم ماينبغي أن يتجاهلها الأقوام، وهم قبل غيرهم الى الانصاف والائتلاف! يقول الامام ابن حجر «والذي انتشر عن ابي هر يرة مع ذلك ــ أي من الحديث النبوي ــ أضعاف ماانتشر عن عبد الله بن عمرو، لتصدّي أبي هر يرة لذلك، ومقامه بالمدينة النبو ية بخلاف عبد الله بن عمرو في الأمر ين» (٨٣)

وقالت لجنة احياء كتب السنة:

«ورزق الله هؤلاء الأصحاب ــ بصائر نيّرة، وعقولا مفكرةً، والسنة معبرة، وحافظة واعية، ونفوسا شر يفة عالية، فَوَعَواْ ذلك كله ــ سنة رسول الله وسيرته ــ وحفظوه، وتحدثوا به فيما بينهم، ثم تفرقوا ــ بعد الفتوح ــ في الأقاليم والأمصار، فنقَلَ كل واحد منهم ماوعاه صدره الى من اتصل به من أهل هذه الأقاليم، وهذه الأمصار نقلا أمينا» (٨٤)

فكانوا رضوان الله عليهم آية الله في حفظ سنة مصطفاه، وكانوا سدوداًا دون وضع الوضاعين ودسّ الدساسين، بما حفظوا كثيرا في الصدور، وبما رووا

---

(٨٢) عن أبى بكرة .

(٨٣) المصدر السابق ص ٦٢ ــ ٧٤..

(٨٤) فتح البارى جــ ١ ص ٢٠٧

قليلا في السطور، وبماروروا من ذلك كله فكان النور الذي يكشف الأمور، و يبّدي المواقف على حقيقتها.. ورحم الله الربيع بن خيثم فقد قال

«ان من الحديث حديثا له ضوء النهار تعرفه به،«ان بين الحديث حديثاًله ظلمة كظلمة (الليل) لعركة به العبين تعرفه بها»(٨٥)

(٨٥) كتابها «التعريف بأمير المؤمنين في الحديث» البخاري

الفصل الثالث

تدوين السنة

١٣ ــ البدء بتدوين السنة

لم تدون السنة في حياة النبى صلوات الله عليه، اللهم الا ما اشتهر وعرف من صحف ابن عمرو وابى شاه وغيرهما.. وقد أراد عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أن يدون سنة رسول الله باعتبارها المصدر الثاني للتشريع الاسلامي، واستشار في ذلك نفرا من كبار الصحابة فوافقوه على مأراد حرصا منهم على السنة ولحاجتهم اليها في حفظ دينهم، وقيام حياتهم على خير وجوهها.. لكن عمر لم يلبث ان عدل عما أراد وارتضوا..

أخرج البيهقي في المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد ان يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال:

«انى كنت أردتّ أن اكتب السنن، واني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبُّوا عليها، وتركوا كتاب الله ــ وإنّي ــ والله ــ لا ألبس كتاب الله بشيء ابدا» (٨٦) فلما مرجت الفتنة وظهر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و واجه التابعون رضوان الله عليهم حركة الوضع في الحديث بما ورثوا عن صحابة رسول الله من حرص على السنة، وسهر عليها، وأفادهم في الاضطلاع بما ينبغي للسنة من بقاء ونقاء ماعرفوه ومن تبعهم بإحسان من ضوابط وموازين وحوافظ للأصيل و بيان للدخيل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتابع رَوايتهم للسنة من حافظتهم حتى دونت والتقت بفضل الله وجهد الاباة أطرافها، تفوف لجنة إحياء كتب السنة.

(٨٦) ص ٢٦ من «معرفة علوم الحديث» للحاكم

«وتتابع النقل من الحافظة حتى كتب الأمير المرواني العادل عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم: «أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكتبه فإني خفت دروس العلم، وذهاب ــ العلماء، ولا تقبل الا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لم يعلم، فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا» (٨٧)

١٤ ــ العلم

واذا كانت كلمة «العلم» تتسم في هذا الكلام بطابع الشمول، فأنها ــ كما قرر الامام الخطيب البغدادي في كتابه «تقييد العلم» ذهابا مع كثيرين من العلماء ــ كانت تطلق بخاصة على «الحديث النبوي» باعتباره القسم الثاني للوحي، وفي القمة من أصول فروض الكفايات من العلوم الشرعية..

وفي كلمات دالة يفتتح ابن حجر مقدمته بعد حمد الله والصلاة على مصطفاه فيقول

«أما بعد. فان أولى ماصرفت فيه نفائس الأيام، وأغلى ماخص بمزيد الاهتمام؛ الاشتغال بالعلوم الشرعية، المتلقاه عن خير البرية، ولايرتاب ــ عاقل في أن مدارها على كتاب الله المقتفي، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم اما آلات لفهمها، وهي الضالة المطلوبة، أو أجنبية عنها، وهي الضارة المغلوبة» (٨٨) و يُعَنْوِنُ ابن الأثير الجزري لانتشار علم الحديث وجمعه وتأليفه، فيقول «حيث ثبت ماقلناه في المقدمة من كون علم الحديث من العلوم الشرعية، وأنه من أصول الفروض، وجب الاعتناء به، والاهتمام بضبطه وحفظه؛ ولهذا يسَّر الله سبحانه وتعالى أولئك العلماء الأفاضل، والثقات الأماثل، والأعلام المشاهير الذين حفظوا قوانينه، واحتاطوا فيه، فتناقلوه كابرا عن كابر، وأوصله كما سمعه أول الى آخر، وحببه الله اليهم لحكمة حفظ دينه، وحراسة شريعته، فمازال هذا

(٨٧) «جامع بيان العلم» لابن عبد البر جــ١ ص٧٦.

(٨٨) صحيح البخاري للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ص ٨٨ والفتح جــ١ كتاب العلم «ص ١٩٤ ــ السلفية»

العلم من عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والاسلام غض طريّ، والدين محكم الاساس قويّ، اشرف العلوم، واجلها لدى الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين بعدهم وتابعي التابعين خلفاً بعد سلف لا يشرف أحد منهم بعد حفظ كتاب الله عز وجل الا بقدر مايحفظ منه، ولا يعظم في النفوس الا بحسب مايّسمع من الحديث عنه، فتوفرت الرغبات فيه، وانقطعت الهمم على تعلمّه...» (٨٩)

١٥ ــ عود الى بدء تدوين الحديث

لقد كان أمر عمر بن عبد العزيز للامام الزهري أو لأبي بكر بن حزم رحمه الله ــ كما قال الامام البخاري ــ اشارة بدء لحركة برة كريمة كانت ضرورية بعد مضيّ العصر الأول، وتفرق كثيرين من ألصحابة والتابعين في الأقطار ممن لم تخترُهم المنية و بعد ظهور الابتداع والروافض ومنكرى الأقدار كما قال إبن خجر فى المقدمة (٩٠) ونقله عنه السيوطي في مقدمته لشرح الوطأ (٩١) وأضاف الامام ابن الجزري الى ذلك «قلة الضبط» ثم أردف يقول «احتاج العلماء الى تدوين الحديث، وتقييده بالكتابة، ولعمري انها الأصل، فان الخاطر يغفل، والذهن يغيب، والذكر يهمل، والقلم يحفظ ولا ينسى، فانتهى الأمر الى زمن جماعة من الأئمة مثل عبد الملك بن جريج، ومالك بن أنس وغيرهما ممن كان في عصرهما، فدونوا الحديث، حتى قيل:

«ان أول كتاب صُنّفَ في الاسلام كتاب ابن جريح، وقيل موطأ مالك رحمها الله تعالى» (٩٢)

وقد ذهب الى غير ذلك ابن حجر رحمه الله فقال «فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب

(٨٩) هدى الساري جـ١ ص ١٥

(٩٠) جامع الأصول جـ١ ص ٣٩

(٩١) جـ١ ص ١٧ ــ الحلبي

(٩٢) جـ١ ص ٤٠ ــ الحلبي

على حده، الى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام، فصنف الامام مالك الموطأ، وتوخى به القوى من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين ومن بعدهم فيه» (٩٣)

وذكر طائفة ممن كانوا في عصره وطبقته في منازل من ديار الاسلام في مكة، و بلاد الشام والكوفة والبصرة، ملمحاً الى أن كثير ين من اهل عصرهم نسجوا على منوالهم وتابعوا السير في مجالهم، وكان المجتمع الاسلامي يطل على رأس المائتين والهمم تتلاحق في ظهور نوع جديد من التدو ين وهي المسانيد

قال ابن حجر:

فصنف عبد الله بن موسى العبسى مسندا

وصنف مسدَّد بن مسرهد البصري مسندا

وصنف أسد بن موسى الأموي مسندا

وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نز يل مصر مسندا

«ثم اقتفى الائمة بعد ذلك أثرهم، فَقَل امام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام احمد بن حنبل، واسحق بن راهو ية، وعثمان بن ابي شيبة، وغيرهم من النبلاء..»

«ومنهم من صنف على الأبواب وعلى المسانيد معا، كأبي بكر بن أبى شيبة» (٩٤) وفي الفصل الرابع من كتاب « السنة ومكانتها في التشر يع الاسلامي» يذكرُ الدكتور الشيخ السباعي رحمه الله أن الاجماع يكاد ينعقد على ان أول من فكر في جمع الحديث وتدو ينه عمر بن عبد العز يز حفيد أبي حفص عمر رضوان الله عليهما الذي اعتزم ذلك وعدل عنه مع توافر الدواعي لذلك احتياطا لكتاب الله وخشية أن يلبسه بسواه، فكان شرف التدو ين في خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العز يز رضوان الله عليه.

(٩٣) جـ ١/٤٠ ــ الى جامع الأصول وهما من أئمة القرن الثاني الهجري.

(٩٤) هدى الساري ص ١٧ ــ ١٨

و يرى الدكتور السباعي أن ابن عبد العزيز لم يخص بالأمر قاضية وواليه على المدينة المنورة ابن حزم فحسب، فقد كتب بما كتب اليه كذلك الي ولاة الأمصار كلها وكبار علمائها واستأنس في هذا بما رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان..

و يقرر أن ابن حزم أنفذ مأاراد **الأمير** منه، فأرسل اليه ماعند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصاريه (٩٨ هـ) والقاسم بن محمد بن أبي بكر (١٠٦ هـ) ولم يدون كل مافي المدينة من سنة وأثر، وانما فعل ذلك الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (١٢٤ هـ) وهو خليق بما قال ائمة العلم في عصره (لولا الزوهري لضاع كثير من السنن»(٩٥).

ومنهج الامام الزهري في التدوين كان أشبه شيىء به منهج الامام مالك في الموطأ، كما ظهر بعد... يقول الشيخ السباعي «كان عبارة عن تدوين كل ماسمعه من أحاديث الصحابة غير مبوَّب على أبواب العلم، وربما كان مختلطا بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين، وهذا ماتقتضيه طبيعة البداءة في كل أمر جديد، وقد تستأنس لهذا بما روى عنه من أنه كان يخرج لطلابه أجزاء مكتوبة يدفعها اليهم ليرووها عنه»

قال « وبذلك كان الزهري رضى الله عنه أول من وضع حجر الأساس في تدوين السنة في كتب خاصة، بعد أن كان عدد من علماء التابعين يكرهون كتابة العلم خشية من ضعف الذاكرة بل كان الزهري نفسه في بدء شهرته العلمية يكره كتابة العلم ويمتنع عنه، حتى رغب اليه بذلك عمر بن عبد العزيز» (٩٦)

ثم تتابع التدوين بعد الزهري علي النحو الذي أسلفنا بيانه حتى جاء العصر الثالث وكان أحفل العصور وازكاها بظهور ائمة الحديث وعلية الرواة، وفي هذا الجو الفواح بأنسام الخير، عاش الامام محمد بن اسماعيل البخاري «أبو عبد

(٩٥) المصدر السابق ص ١٨

(٩٦) ص ١٠٣ وما بعدها من «السنة ومكانتها»

الله» (٢٥٦هـ) واستجلى سناه، واستنشق رياه، وتدرج في مدارجه، حتى ظهرت خصالة، وبهرت في تحصيل العلم خلاله، وأجدر بمن التزم جليل المناهج، وتدرج في مثل هاتيك المدارج ـــ مع توفيق الله وليّ من اتقاه ـــ أن يحلق في سموات الكمال، ويتفوق في العلم، اكتسابا وعطاء، على الأقران والأمثال، وأن يترك للدين والدنيا ماتركه البخاري من كريم الآثار والأعمال.

فمن هو ذلك الرجل يرحمه الله؟!

الباب الثاني



الفصل الاول

«بين يدي الامام البخاري»

١٦ ـ خصيصة نادرة

حسب الذين يحاولون الكتابة عن الامام البخاري، أمير المؤمنين في الحديث ـ كما قال غير واحد من الائمة ـ أن يراجعوا الفيض الغدق من تراجم من ترجموا له فأحسنوا.. وسيجدون قيد أنظارهم كلام شيوخ البخاري عنه، وهو دلالة فريدة من دلالات الجدارة بالفضل والامامة، والتفرد بخصيصه لا تتكرر كثيرا في تاريخ الفكر الانساني، علي النحو الذي ذهب به أكثر من سواه الامام عبد الله يرحمه الله.

وهذا ابو علي بن المدينى شيخ البخاري يقول فيه ماروى اسحق بن احمد بن خلف.. «سمعت البخاري غير مرة يقول: ماتصاغرت نفسي إلا عند علي بن المدينى، وذكر ذلك لعلي بن الديني فقال «ذروا قوله، هو مارآي مثل نفسه» (٩٧) والامام احمد بن حنبل، وقد روى ابو عبد الله عنه بلا واسطة، وعن رجل، يقول.. «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل.. (٩٨)

وقال «انتهى الحفظ الي أربعة من أهل خراسان... وذكر محمد بن اسماعيل ثانيهم (٩٩) وعن محمد بن بشار شيخ البخاري ومسلم «حفاظ الدنيا أربعة، وذكرهما مع أبي زرعة والدرامي» (١٠٠)

---

(٩٧) المصدر السابق ص ١٠٥

(٩٨) تهذيب الاسماء واللغات جـ١ ص ٦٩ من القسم الأول للامام يحيى النووي

(٩٩) المصدر نفسه/ ٦٨

(١٠٠) نفس المصدر/ ٦٨

وعنه قال «ماقدم علينا ــ يعنى البصرة ــ مثل البخاري، ولما دخلها قال ابن بشار «دخل اليوم سيد الفقهاء» وروى أنه قام اليه فأخذ بيده وعانقه، وقال: «مرحبا بمن أفتخر به منذ سنين»(١٠١)

ذلك جانب من جوانب شخصية كلفت بالكمال، وشغفت بالرجال، وكأنه كان ينظر في قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود «لايزال الناس بخير ماأخذوا العلم عن أكابرهم»(١٠٢)

وعن أبي بطه قال «سمعت الحسين بن اسماعيل المحاملي يقول، سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول، سمعت احمد بن حنبل يقول.

«انما الناس بشيوخهم فاذا ذهب الشيوخ تُودعَ من العيش»(١٠٣)

وفي طبقات الشافعية» جـ ٢ ص ١٥٧ للامام السبكى..

«قال البخاري: قال لي محمد بن سلام البيكندي، أنظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فاضرب عليه» فقال له بعض اصحابه: من هذا الفتى؟! فقال له: هذا الذي ليس مثله» وابن سلام هذا، من شيوخ البخاري كذلك..

ولقد كان عنده أحد الرواة فدخل محمد بن اسماعيل، فلما خرج قال ابن سلام ــ لصاحبه ــ(١٠٤)«كلما دخل على هذا الفتى تحيرت، والتبس علي أمر الحديث، ولا أزال خائفا مالم يخرج»يقول ابن حجر «كان يخشى ان يخطيء بحضرته» (١٠٥)

انها مشاعر تقدير واكبار لفتى يزداد توقير شيوخه له كلما تردد عليهم فرأوا المزيد من مشاهد نبوغه، وشواهد تبحره في الحديث رواية ودراية، وكم فضلوه على أنفسهم، ولم يأنفوا من التلمذة عليه، والاعتزاز بالجلوس بين يديه ليستملوا عليه، و يضيفوا من زيادات حفظه ماسبقهم اليه، والفضل يعرفه ذووه.. وانه وإياهم كما قيل..

(١٠١) المصدر نفسه/ ٦٨
(١٠٢) نفس المصدر/ ٦٨ ــ ٦٩
(١٠٣) طبقات الحنابلة لأبى يعلى جـ ١ ص ٦٩
(١٠٤) طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٢٧١
(١٠٥) طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٢٢

كالبحر يمطره السحابُ وماله فضل عليه لأنه من مائه.

قـال محـمد بن حاشد «كنا يوما عند اسحق ابن راهو ية، وعمر بن زرارة وهو يستملي على أبي عبد الله، وأصحاب الحديث يكتبون عنه واسحق يقول:

«هو أبصر مني وكان ابو عبد الله انذاك شابا» (١٠٦)

قـال الحـافـظ ابـن حجر: قال أبو عبد الله الفر يري «رأيت عبد الله بن منير يكتب عن البخاري.. وسمعته يقول «أنا من تلامذته»

و يعقـب ابـن حـجـر عـلـى هـذا الخبر بقوله «عبد الله بن منير من شيوخ البـخـاري، قـد حدث عنه في الجامع الصحيح، وقال «لم أر مثله» وكانت وفاته سـنـة مـات احمد بـن حـنبل» (١٠٧) ولقد تجاوز شيوخ البخاري ــ بله أقرانه ــ مـدى الـتـقدير القولي، والاملاء العملي بالكتابة عنه، الى ماوراء ذلك من اعتبار رأيـه هو الرأي، وقوله هو القول، حين يشجر بينهم الخلاف في حديث أو أمر يتصل به، وهذا البخاري رحمه الله يقول:

«ذاكـرنـي أصـحـاب عـمـرو بـن عـلـيّ القلاس بحديث، فقلت: لاأعرفه، فسُّروا بـذلك، وصاروا الى عمرو فقالوا له: ذاكرنا محمد بن اسماعيل بحديث فلم يعرفه، فقال عمرو بن على «حديث لا يعرفه محمد بن اسماعيل ليس بحديث»(١٠٨)

و يـورد ابـن حجر قول بن حاشد بن اسماعيل «رأيت اسحق بن راهو يه جـالـسـا عـلـى المنبر، والـبـخاري جالس معه، واسحق يحدث، فمر بحديث فأنكره محـمـد، فـرجـع اسـحق الـى قـوله وقال يامعشر أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب، واكتبو عنه، فانه لو كان فى زمن الحسن بن أبي الحسن البصري لاحتاج الـيـه لمـعـرفـتـه بـالحـديث وفقهه(١٠٩)قال النووي «ورو ينا عن عبد الله بن محمد

---

(١٠٦) هدى الساري جــ٢ ص ٢٥٥

(١٠٧) هدى الساري جــ٢/ ٢٥٦

(١٠٨) هدى الساري جــ٢/ ٢٥٦

(١٠٩) هدى الساري جــ٢/ ٢٥٦

السندي ــ وهو من شيوخ البخاري ــ« محمد بن اسماعيل إمام فمن لم يجعله اماماً فاتهمه» (١١٠) وماذا عسى ان يقول القائلون في رجل عرض نتاج فكره على شيوخه فحمدوها جميعا ماخالف منهم في أيسر شيء واحد من أمثال « يحيى بن معين المتوفي سنة ٢٣٣ هــ وعلي بن المديني المتوفي سنة ٢٣٥ هــ، واحمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١ هــ و يروي ابن حجر في مقام ثناء الناس عليه « سئل قتيبة عن طلاق السكران، فدخل محمد بن اسماعيل فقال قتيبة للسائل: هذا احمد بن حنبل، واسحق بن راهو ية، وعلى بن المدينى قد ساقهم الله اليك، وأشار الى البخاري «المقدمة»

وأورد النووي في «مذكرة الحفاظ» ص ٥٥٥ جــ ٢ «قول البخاري «كتبت عن أكثر من ألف رجل» ولا عجب في ذلك والنووي يقول «شدا وصنف وحدث وما فى وجهه شعره» وأورد هنا من السنة ومكانتها في التشر يع الاسلامي للدكتور مصطفى السباعى ص ٤٨٧ قوله «ولم يُعْنَ علماء الاسلام بكتاب ــ بعد القرآن ــ كما عنوا بصحيح البخاري، حتى بلغ الذين كتبوا حوله، مابين شرح وإختصار وترجمة رجال، عددا كبيرا جدا، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغت اثنين وثمانين شرحا كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون ومن اشهر هذه الشروح أر بعة: شرح الامام بدر الدين الأركشى٧٩٤ هــ) واسمه بدر الدين التنقيح (ــ ٧٩٤ هــ) وشيخ الاسلام ابن حجر «ــ ٨٥٣» هـ في فتح الباري وهو أجل هذه الشروح وأوفاها وأكثرها شهرة وفائدة.

والعلامة العينى الحنفى (ــ٨٥٥ هــ) في عهدة القاري.. والجلال السيوطي (ــ٩١١ هــ) في التوشيح.. ١هــ

وهذه النبذة وان كانت حول الجامع الصحيح، فهي تبرز جانبا واحدا من جوانب امام جليل، رحمه الله ونَضَّرَ وجهه في عليين»

---

(١١٠) هدى الساري جــ٢/ ٢٥٥

الفصل الثاني

البخاري مولدا ونشأة

١٧ ــ مولده.

ولد أبو عبد الله لأبوين فاضلين في بخاري من تركستان.. رد الله غربتها، وأنهي غيبتها لتعود مرة أخرى احدى معاقل الاسلام، ومنازل علمائه، وكان أبوه أحد هؤلاء العلماء، له أسهام جادّ ومشاركة بارّة في العلم و بخاصة خدمة حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهى «العلم» يحق كما سيبرز لك بعد.. وكان مولده بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة اربع وتسعين ومائه ببخاري كما أخرج هو ذلك بخط أبيه للمستنير بن عتيق (١١١)

نشأته

لبى أبو الحسن اسماعيل بن ابراهيم نداء مولاه وخلفه وأخاه الذي يكبره ــ احمد بن اسماعيل، تتعاهدهما أم برة صالحة يقرعينها أن ترى ابنها محمداً يتردد مع لداته على الكتاب، يتلقون مايقدم لأمثالهم من معارف.

ولقد ظهرت مخايل نجابة محمد في طفولته، ولم يناهز العاشرة من عمره الا وهو أحد الطلاب الذين يؤثرون مجالس العلماء، وما كان أكثرهم في خراسان حينئذ، وكان أبوه قد خلف للأسرة تركة مباركة لم تشبها شبهة حرام، روى احمد ابن حفص تلميذ أبي الحسن انه دخل عليه عند موته فسمعه يقول «لا أعلم في جميع مالى درهما من شبهة»

وخلف ثروة أخرى أجل وأبقى هى حسن الأحدوثة، وجميل الذكر، ولسان الصدق في الناس، لعلمه المذكور، وأثره الحى المشكور، فطالما رحل الى

(١١١) تهذيب الاسماء واللغات جـ١ ص ٦٩ وهدى الساري جـ٢/ ٢٥٦

كبار الأئمة، وحدث عنهم ونال ثقة النقاد والمحدثين بكفاءة علمية وأمانة وأهلية، وروي بالسماع عن مالك بن أنس، وحماد بن زيد، وصحب عبد الله بن المبارك، وروي عنه العراقيون، ومنهم احمد بن حفص، وترجم له ابنه أبو عبد الله في كتابه «التاريخ الكبير» ووثقه ابن حبان، وترجم له كذلك مع رجال الطبقة الرابعة في كتابه «الثقات» (١١٢)

واذا كان المال عصب الحياة، والغنى بمثل ماورث ابو عبد الله عن ابيه مما تطيب به الأنفس، ويستوجب ذكر الله وشكره، فلقد كانت ذكرى أبيه العلمية تحفزه الى انتهاب العلم، والجد في تحصيله واستيعابه، يشد عزمه في ذلك ويثبت خطوه على هذا الطريق امل أم يخايلها ان ترى ابنها يشب في رحاب الاسلام ويعب من علومه بأوفى جام ليكون امتدادا لشوط بعيد قطعه والده في هذا السبيل.

وانه لمناخ صالح، وتربة يزكو فيها غراس الفضل..

وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا في منابتها التحل.

كانت بدايات أبي عبد الله أنواراً كاشفة استجلى الناس فيها أكرم النهايات.. وكان محمد بن اسماعيل ـــ وسيبقى ـــ آية من آيات الله الكبرى في خدمة حديث نبيه صلوات الله عليه بخاصة، وخدمة دينه وعلومه بعامة.

ولقد اتصل غدوه ورواحه في بكرة العمر، وفور استكماله سنته العشر، على حلقات الشيوخ ومجالس الرواية للسماع من أمثال البيكندي محمد بن سلام، ومحمد بن يوسف البيكندي، وشيخه الداخلي وهرون بن الاشعت ونفر من مشاهير بخاري!!

وأعطاه الله من الثقة في نفسه بقدر طموحه وحرصه على أن يكون من رجال الحديث النبوي فأقبل بكل جهده وجده على سماعه وحفظه والمحاورة فيه بصورة تثير انتباه عارفيه!.. قال الفربري «سمعت محمد بن أبي حاتم، وراق البخاري يقول سمعت البخاري يقول.. «ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب.. قلت:

(١١٢) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٥٠

كم أتى عليك اذ ذاك؟! قال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب فجعلت أختلف الى الداخلى وغيره، فقال يوما، فيما كان يقرأ للناس.. «سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم» فقلت:

«ان ابا الزبير لم يروعن ابراهيم» فانتهرني، فقلت له: «ارجع الي الأصل ان كان عندك»

فدخل فنظر اليه، ثم رجع فقال: كيف هو ياغلام؟!

فقلت: هو الزبير وهو ابن عِدىّ عن ابراهيم!!

فأخذ القلم، وأصلح كتابه، وقال لى: صدقت..

قال: فقال له انسان. ابن كم حين رددت عليه؟!

فقال: ابن احدى عشرة سنة

قال: فلما طعنت في سِتّ عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع وعرفّت كلام هؤلاء ــ يعني أصحاب الرأي» (١١٣)

ان ابن الأثير الجزري ينظر ــ لا ريب ــ في مثل هذا الخبر الحافل بكثير من الكرائم **وهو** يقول «وردّ على المشايخ وهو ابن احدى عشرة سنة، وطلب القلم وله عشر سنين» (١١٤)

ــ أرأيت كيف تتسع خطوات أبي عبد الله في طريق التحصيل؟!

وكيف راجع شيخه في الرواة وهو مايزال غضّ الإهاب، قريب عهد الكتاب حديث الدخول من باب التخصص في الحديث، وايثاره على ماسواه، عرفانا منه بحاجة ماسواه من العلوم اليه، وان كان ــ رحمه الله ــ له شأن في ذلك وهو يقول «وعرفت كلام هؤلاء ــ يعنى أصحاب الرأي وهو مذهب أبي حنيفة رضوان الله عليه وأقوام..

---

(١١٣) كتاب «التعريف بأمير المؤمنين في الحديث ص ١٤ وما بعدها.. وهو اجمال لما في هدى السارث جـ ٢ و«تهذيب الاسماء واللغات» جـ ١ ص ٦٧ وما بعدها.

(١١٤) جـ ٢ ص ٢٥٠ هدى الساري ــ الحلبي

١٨ ــ ظاهرة دالة

ان مراجعة أبي عبد الله لشيخه الداخلى، وانتهار الشيخ له، وإصرار التلميذ في أدب على مايرى انه الحق، ظاهرة مبكرة دالة على امانة علمية تلزمه، وثقة في النفس تنمو مع الأيام كما ينمو النبات، وتغتذى بحفظ دائب، وتحمّل موصول وإعمال للعقل والقلب.. معا ــ في كل ذلك على النحو الذي دعا شيوخه الى التنو يه به والاشارة بخصائصه من فجر شبابه.

وهي جوانب من طالب علم نودُّ أن نجتليها في أنفسنا، وأن يأخذها طلبة العلم سبيلا لما نحب ويحبون أن يكونوه غدا على طر يق الرجال.

١٩ ــ رحلا ته

..وخرج ابو عبد الله لأول مرة من بخاري الى مكة مع أمه وأخيه احمد الذي يكبره، فلما حجوُّا رجع أخوه بأمه و بقى هو رغبة في طلب الحديث (١١٥) قال ابن حجر« فكان اول رحلته على هذا سنة عشر ومائتين، ولو رحل أول ماطلب لأدرك ماأدركه أقرانه من طبقة عالية ماأدركها، وإن كان أدرك ماقاربها، كيز يد بن هرون وأبي داود الطيالسيّ»(١١٦)

ولقد روى عن الطبقة العالية التى فاتته بواسطه، وأدركها من دونه أقرانه، لتأخر رحلته عنهم، والأمور تجري بقدر لطيف..

ولقد أحسنت لجنة احياء كتب السنة، وهي تقول..

«فلا شك أن هذه الفرصة التي فاتت على البخاري لها قيمتها في ذاتها، ولكن التلبث الذى كان سببها، هو من زاو ية أخرى ــ في نظر اللجنة ــ رحمة من الله بهذا الصبىّ الغض العود، و بالأمة التى ادخره لها، وهيأه ليخدم أصلا من أصول دينها.. رحمة واسعة، وتدبير لطيف تأخرت بها رحلة البخاري عن أول طلب العلم الى أن يصلب عوده، و يستحكم بناؤه، و يقوى على مواجهة الاسفار ومشاقها، و يستعد لاحتمال الغر بة ومتاعبها النفسية والاجتماعية والاقتصادية..

---

(١١٥) جامع الأصول جـ١ ص١٨٦

(١١٦) طبقات الشافعية جـ٢ ص٢١٦

« ولقد تصدى البخاري لتلقى الحديث عن الشيوخ، وهو في الحادية عشرة من عمره، فهل كان في استطاعته أن يواجه الرحلة والاغتراب بهذه السن الناشئة؟!

وبما يذكره المؤرخون من صفاته الجسمية والخَلْقية»؟(١١٧)

وفي طبقات الشافعية «أنه كان نحيفا ليس بالطويل» (١١٨)

و يقول الامام النووي «وروينا من أوجه عن الحسن بن الحسين البزاز ــ بزاءين ــ قال «رأيت محمد بن اسماعيل البخاري نحيف الجسم، ليس بالطويل، ولا بالقصير» (١١٩) وكان يصاب في بصره منذ صباه الى حد العمى، ذكر ابن حجر في «هدى الساري» جـ ٢ ص ٣٥ وغيره أنه فقد بصره في صباه فكربت لذلك أمه، ودعت الله تعالى، فرأت الخليل ابراهيم في النوم يبشرها بأن الله سمع دعاءها ورد على ابنها بصره.!!

وقال جبريل بن ميكائيل: سمعت أبا عبد الله البخاري يقول..

«لما بلغت خراسان أصبت ببصري، فعلمني رجل أن أحلق رأسي، وأغلّفه بالخطمى ففعلت فرد الله على بصري» (١٢٠)

وذكرت لجنة احياء كتب السنة ص ٢٦ ــ ٢٨ ظروفا وملابسات تؤكد أن عناية الله بالناشئ الكريم عوّقت رحلته حتى تشتد أوصاله، و بقوى على مواجهة الارتحال احتماله، مُبرزة ــ وبحقٍّ ــ أن أعوام البخاري الأولى في بلده لم تذهب سدى، ولكنها أكسبته حفظ مالا يتيسر لمثله، والنظر فيه، والقدرة على مراجعة مثل الداخلي، وأهّلته لما أكتشفه من لقى من الشيوخ من المواهب والاستعداد الذي كان يعوزه فيه لو ارتحل من قبل ــ الى ــ زمن طويل،

---

(١١٧) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٥٠ ــ الحلبي

(١١٨) التعريف/ ٢٥

(١١٩) جـ ٢ ص ٢١٦ للسبكي

(١٢٠) «تهذيب الاسماء واللغات» جـ ١ ص ٦٨ وفي «مذكرة الحفاظ» للمذهب جـ ٢ ص ٥٥٥ وذكران لونه يضرب الى السمرة.

وجهد ليس بالقليل.. وانها لعناية الله بالبخاري أن يكون أول خروجه الى حج بيت الله مع أكرم انسانين يومئذ عليه، أمه الرءوم وشقيقه الذي استأثرت به رحمة الله بعد عودته وأمه الى بخاري.

وأن يكون منزل الوحى المنهل الأول الذي يرده، و يرتوي من نبعه الزلال ماشاء الله، ثم تحول الى المدينة المنورة يشفى غليلا، و يتزود طيلة عام من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيرة علمائها وعام من مثل البخاري في دار الهجرة لايدري الا الله حصيلته وثمرته!

ثم جاب أقطار الدنيا منهوما طالبا للحديث، راغبا في لقاء المتحدثين بين شرق وغرب، مستهينا فى بلوغ ما رجا بكل صعب، ومن طلب الحسناء لم يغلها المهرا.. كما قال أبوفراس قال ابويعلى «رحل في طلب العلم الى أكثر محدثي الأمصار..» وذكر نفرا من العلماء. (١٢١) وقال النووي في الاشارة الى بعض شيوخه والآخذين عنه والمنتمين اليه، والمستفيدين منه «هذا الباب واسع جداً لايمكن استقصاؤه، فأنبه على جماعة من كل اقليم، و بلد ليستدل بذلك على اتساع رحلته، وكثرة روايته وعظيم عنايته.. قال «فأما شيوخه.. فقال الحاكم ابو عبد الله في تاريخ نيسابور.. ممن سمع منه البخاري رحمه الله في مكة: أبو الوليد احمد بن محمد الأزرقى، وعبد الله بن يزيد المقرى واسماعيل بن سالم الصائغ، وابو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى وأقرانهم..

و بالمدينة: ابراهيم بن المنذر الحزامي، ومطرف بن عبد الله، وابراهيم بن حمزة وأبو ثابت محمد بن عبد الله، وعبد العزيز بن عبد الله الاريسى وأقرانهم.
و بالشام: محمد بن يوسف الفريانى، وابو نصر اسحق بن ابراهيم وآدم بن أبي اياس، وأبو اليمان الحكم بن نافع، وحيوة بن شريح وأقرانهم ــ وذكر جملة ذكرناهم من شيوخ بخاري ومعهم عبد الله بن محمد المسندي

---

(١٢١) طبقات الشافعية ٢/٢١٦ والخطمى بكسر الخاء وفتحها الذى يغسل به الرأس .

وبمرو: على بن الحسن بي شفيق، وعبدان، ومحمد بن مقاتل وأقرانهم
و ببلخ: مكى بن ابراهيم، ويحيى بن بشر، ومحمد بن أبان، والحسن بن نجاح ويحيى بن موسى، وقتيبة وأقرانهم..
قال: وقد أكثر بها..

وذكر شيوخه في هرانة، «وواسط، والبصرة، والكومة ومصر والجزيرة

والبخاري رحمه الله يقول..

«دخلت بغداد اخر ثمان مرات، كل ذلك أجالس احمد بن حنبل.. فقال لى فى آخر ما ودعته» «ياأبا عبد الله، تترك العلم والناس وتصير الى خراسانى»؟! قال البخاري «فأنا الآن أذكر قوله» (١٢٢)

.. وكأنما كان ابن حنبل رضى الله عنه ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق!! فلقد لقى البخاري بعدُ من حسدِ الشيوخ وكيدهم مالقى حين عاد الى وطنه وفاء منه للبلد الذي أقلته أرضه وأظلته سماؤه، وحرصا على أن يُقيىء الى اهله بعض ماأفاء الله عليه من علم جاوز حساب الحاسبين.

وتعرض لفتن ليس له فيها يد ولا أصبع، الا فضله وعلمه «أم يحسدون الناس على ماآتلهم الله من فضله» (١٢٣)

اذا محاسنى اللائى أدِل بها كانت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر؟

وكان الامام البخاري، من بين مكايد بعض أهله، يذكر كلام الامام أحمد و يقول..

«وأنا الآن أذكر قولة» أي والنار مستعرة من حوله.

وكما أخرج الطغاة الانبياء خاتمهم محمد صلوات الله عليهم من بلادهم، واجتلى الرسول قول ورقة بَن نوفل له «ليتنى أكون حيا اذ يخرجَك قومك» وقوله صلوات الله عليه «أو مخرجي هم»؟!

---

(١٢٢) طبقات الحنابلة ١ ــ ٢٧١
(١٢٣) طبقات الحنابلة ٢٧٧ جــ ١

فلقد أخرج البخاري برغمه من وطنه مثخن القلب بجراح دونها جراح الأجسام

وظلم ذوى القربى أشد مضاخنة   على القلب من وقع الحسام المهند..

وكأنما ضَنُّوا عليه بأن يموت في بخاري بلد أبيه وأمه وقومه فلقى ربه بعد قليل من خروجه في «خرتنك» على فرسخين من سمرقند.. ودفن يوم الفطر بعد رمضان بعد الظهر سنة خمسين ومائتين كما يقول النووي (١٢٤)

١٩ ــ نفوس كبيرة

ولم تخرج هذه العداوات الباغية إمامنا عن وقاره وحلمه واصطباره، فله أسوة حسنة برسول الله والمرسلين من قبله، وله بابن حنبل مثل ذلك، وكان كما حدث عن نفسه فيما روى الامام النووى «أما المادح والذام عندى سواء» وقال «أرجو أن ألقى الله عز وجلّ ولا يطالبني أني اغتبت احدا» (ء؟؟) وروى ابن حجر عن وراقه انه استعفى أبا معشر حين ابتسم وهو يراه يحدث ويحرك (ويحرك) رأسه، وكان أبو معشر ضريرا، فقال: أنت في حل ياأبا عبد الله يرحمك الله وقال وراقة «سمعته يقول: لايكون لى خصيم في الآخرة..

فقلت: ان الناس ينقمون عليك التاريخ، يقولون فيه اغتياب الناس!!

فقال: إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا» وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم: «بئس اخو العشيرة»

وروى قوله «ما اغتبت أحدا قطُّ وقد علمت ان الغيبة حرام»

قال ابن حجر «وللبخارى تَوَقٍّ زائد في كلامه على الرجال، وَتَحَرّ بليغ يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فأن أكثر مايقول «سكتوا عنه»، «فيه نظر»، تركوه، ونحو هذا، وقل أن يقول كذاب أو وضاع، وانما يقول: كذّبه فلان، رماه فلان ــ يعنى بالكذب ــ» (١٢٦)

---

(١٢٤) النساء/ ٥٤

(١٢٥) تهذيب الأسماء واللغات ١ ــ ٦٨

(١٢٦) المصدر السابق صحيفة وجزء

تلك نبذة من أخلاق البخاري مع الناس، لم نلحق بها كرمه ومُيَاسَرَتُهُ مع من عامله بمال، وانه لم يَبع ولم يبتَعْ بنفسه حتى حِبْرُه وكواغده كيلا يظلم، وأنه كان ينفق على طلابه أيام يسره، ولو شاء لتراخت هذه الأيام، لكنه كان يرى و يقول وما عند الله خير وأبقى (١٢٧)

وصلته بربه وخشيته من مولاه، وتحرّيه لموجبات توفيقه ورضاه، قد استفاضت بها تراجم كثيرين ممن ترجموا له، وبخاصة من لازموه رحمه الله ورحمهم ورحمنا بترسم خطاهم واقتفاء آثارهم.

ولقد بلغ من نفسه مبلغا قول الله تعالى «واتقوا الله و يعلمكم الله» البقرة/٢٨٢ فكان يستعين بذكر الله وطاعته على ماهو بسبيله من خدمة ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوريث الدنيا من ذلك آثاره الجليلة، فلا يكتب حديثا في كتابه «الجامع الصحيح» الا بعد أن يغتسل و يصلي ركعتين» (١٢٨)

قال النووى «وروينا عن عبد القدوس عن همام قال، سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول البخاري تراجم جامعه بين قبر النبى صلى الله عليه وسلم ومنبره، وكان يصلى لكل ترجمة ركعتين» (١٢٩)

وأخرج الحاكم من شعره

اغتنم فى الفراغ فضل ركوع ... فعسى ان يكون موتك بغتَه
كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فَلْتَه

وكان البخاري انسانا وافر الانسانية، يأسَى لفقد أصحابه، ولمانَعَوْا اليه الحافظ الدارمى قال

ان عشت تفجع بالأحبة كلهم ... و بقاء نفسك لا أبا لك .. أفجع (١٣٠)

ولم نذكر غيرذلّ عنه قُلٍّ من فضل الإمام، لكنا نسأل. لم كاد له من

(١٢٧) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٥٣
(١٢٨) الشوري/٣٩
(١٢٩) تهذيب الأسماء واللغات ١ ــ ٧٤
(١٣٠) تهذيب الأسماء واللغات ١ ــ ٧٤

كـاد؟ وتآمر عليه من تآمر؟! الا أن يكون ذلك صنيع أقوام اقتحموا على الله حماه، ونقموا منه سبحانه أن حرمهم وأعطاه «أهم يقسمون رحمة ربك» (١٣١)

٢٠ ــ أقرانه بعد شيوخه.

والامام البخاري صاحب فضل موصول على كل منتفع بحديث رسول الله وسنته منذ كان وإلى آخر الزمان، واذا كنا قد ذكرنا نفرا ممن أخذوا عنه وتتلمذوا له، فكم يكون مفيدا ان يراجع طلاب المزيد ص ٢٥٧ وما بعدها من (هدى الساري) للامام ابن حجر طبعة الحلبي ليشنّفُوا أسماعهم و يتحفوا أرواحهم، و يؤنسوا بحديث أقران أبي عبد الله قلوبهم.. ولعلك تلحظ دلالة ماكتبه اليه أهل بغداد، ومنه..

المسلمون بخير مابقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد!! (١٣٢)

والخير يبقى والبر لايبلى وان طال الزمان، وما تَعاقَبَ الملوان .. وكان الآملي ــ وهو من شيوخ ابي عبد الله ــ يقول:

«لوددت اني كنت شعرة في صدر محمد بن اسماعيل»

وقال الحافظ البغدادي موسى بن هَرون الجمال «عندي لو أن اهل الاسلام اجتمعوا على أن يصيبوا آخر مثل محمد بن اسماعيل، لما قدروا عليه».. وقال عبد الله بن محمد بن سعيد بن جعفر، سمعت العلماء بمصر يقولون..

«مافي الدنيا مثل محمد بن اسماعيل في المعرفة والصلاح»

ثم قال عبد الله «وانا أقول قولهم»

واجتماع المعرفة والصلاح هما من الكمال البشري الذي يندر كثيرا، فكم ترى في واقع الحياة انفكاكا وتباعدا بين هاتين الفضيلتين

---

(١٣١) هدى الساري ٢ ــ ٢٥٤

(١٣٢) الزخرف/ ٣٥

وقال الحاكم أبو عبد الله في الكُنَى « كان أحد الائمة في معرفة الحديث وجمعه، ولو قلت انى لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في الحسن والمبالغة لفعلت» وليته قال «لأصبت»

قال ابن حجر «ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه، ممن تأخر عن عصره لنفدَ القرطاس، ونفدت الأنفاس، فذلك بحر لا ساحل له»

٢١ ــ المستقدمون والمستأخرون..

وبعد ما اورد ابن حجر من كلام المتأخرين قال:

«وبعد ما تقدم من ثناء مشايخه عليه لا يحتاج الى حكاية من تأخر لأن اولئك انما اثنوا بما شاهدوا، ووصفوا بما علموا، بخلاف من بعدهم، فان ثناءهم ووصفهم مبني على الاعتماد على ما نقل اليهم وبين المقامين فرق ظاهر، وليس العيان كالخبر»

..ان زمرة من اخذوا عنه جلسوا اليه، اضافة جديدة شاهدة بوقرة علمه وسعة حفظه، وعمق فهمه ودرايته واحاطته، وأمانته وحرصه على الاقناع بما اولاه وآثره به الله، ومسألة البغداديين، ومسألة السمرقنديين، وهما عجيبتان اخرجهما ابن حجر في جـ ٢ ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩ من (هدى الساري)، كما أورد خبر المروزي عن دخول ابي عبد الله البصرة واجتماع أهلها به ــ كرأيه ــ ثاني يوم، وتحديثهم بعجيبة أحاديث رواها أهل بلدهم!!

..ذلك كله مما يعجز المرء أن يصفه، الا على أنه رحمة الله يُختص بها من يشاء، وفضله وليس لفضله تبارك وتعالى نهاية.

في بغداد وسمرقند والبصرة وفي كل بلد جاءه كان لأبي عبد الله من المواقف والأحوال ما يندر كثيرا أن يكون في وسع الرجال، ولو أمليت للقلم في التسطير لصال وجال دون أن يُوَفّى الرجلَ حقه في المقال، وفى «الأمهات» من ذلك غنىً ومقنع، وليكن مفترق الطريق ــ برغمي ــ في هذا المجال، ذلك المثال.

قال محمد بن ابي حاتم الوراق.

ان أبو عبد الله اذا كنت معه في سفر، يجمعنا واحد إلا في القيظ فكنت أراه في الليلة الواحدة (خمس عشرة) الى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القداُحة، فيورى نارا بيده، و يسرج ويخرج أحاديث، فيعلم عليها، ثم يضع رأسه.. فقلت له

«انك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظنى!!

قال «أنت شاب، فلا أحب أن أفسد عليك نومك» (١٣٣) انه الامام أبو عبد الله تتباعد اطراف همته وانسانيته الى هذا المدىَ.. و يالكرم الله «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (١٣٤)

(١٣٣) هدى الساري طبعة السلفية ص ٤٨٥ وجـ ٢ طبعة الحلبي
(١٣٤) هدى الساري جـ ٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ الحلبي

الفصل الثالث

صحيح الامام البخاري

٢٢ ــ أحصوا ماعرفوا ..

أحصت الامهات كتب الامام البخاري، وما بقى منها بأيدي الناس، وأكبر الظن أنهم أحصوا ما بلغهم، وكان ابن حجر فى «هدى الساري» (١٣٥) قد أحصى من ذلك واحدا وعشرين كتابا مقرونة في اكثرها بأسماء من عرفوا بروايتها أو الذين انتفعوا بالنقل عنها وذاكرا ماعنده منها وما كان له من حظ روايتها بالسماع أو الاجازة..

وابتدأ بذكر «الجامع الصحيح» وانتهى منها بكتاب «الفوائد» الذي ذكره الترمذي في اثناء كتابه «المناقب» من جامعه.. (١٣٦)

وقال ابن حجر عن العشر الأولى منها، وهي

«الجامع الصحيح، والأدب المفرد، ورفع اليدين في الصلاة، والقراءة خلف الامام، وبر الوالدين، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير، وخلق أفعال العباد، وكتاب الضعفاء.. قال «وهذه التصانيف موجودة مروية لنا بالسماع أو الإجازة»».

.. وتضيف لجنة إحياء كتب السنة في المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ــ مصر ــ إلى ماذكره ابن حجر، ثلاثة كتب أخرى بمظانها وطبعاتها، نقلا عن «تاريخ الأدب العربي» لبروكليمان ١٧٣/٣..

---

(١٣٥) البقرة/ ١٠٥

(١٣٦) هدى الساري جـ٢/ ٢٦٤ ــ ٢٦٥

واستبعدت اللجنة أن يكون ذلك الذي ذكروه هو كل تصانيف الامام البخاري، ونحن مع اللجنة في ذلك، فإنه وان كان بعض ذلك حسب البخاري شرفا، فما يبعد أن يكون وراء هذه الآثار غيرها لم تتح معرفته للمتمرس المتخصص المستوعب لدراسات البخاري وأحواله وهو ابن حجر رحمه الله» (١٣٧)

والامام ابن حجر بابتدائه بالجامع الصحيح، منتهيا الى العاشر من تصانيف البخاري يلحظ أهمية «الصحيح» ثم ماتلاه على الترتيب، وإن لم يكن «الصحيح» أول مصنفات الامام كما ورد ذلك نصا في كلامه حينما طعن في الثامنة عشرة من عمره، (١٣٨) ولا بأس بأن نستكمل نصا بدأناه (لنستجيش في الأذهان الإعداد الفريد الذى سبق تصنيف الجامع الصحيح قال الفربرى) سمعت محمد بن أبي حاتم وراق البخاري يقول، سمعت البخاري يقول:

«ألهمت حفظ الحديث، وأنا في الكتاب، قلت. وكم أتى عليك إذذاك قال: عشر سنين أو أقل، «ثم خرجت من الكتاب، فجعلت اختلف الى الداخلى وغيره، فقال يوما، فيما كان يقرأ للناس، «سفيان عن أبي الزبير عن ابراهيم» فقلت: «ان أبا الزبير لم يروعن ابراهيم فانتهرني، فقلت له: ارجع الى الأصل ان كان عندك، ندخل فننظر فيه، ثم رجع فقال: «كيف هو ياغلام»؟ فقلت: هو الزبير وهو ابن عدى عن ابراهيم.

فأخذ القلم وأصلح كتابه، وقال لى: صدقت!

قال فقال لى انسان: إبنُ كم حين رددت عليه؟! فقال: ابن احدى عشرة سنة!! قال فلما طعنتُ في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء — يعني أصحاب الرأي..

---

(١٣٧) المصدر السابق/ ٢٦٤

(١٣٨) التعريف بأمير المؤمنين في الحديث ص ٧٥

قال: ثم خرجت مع أمي وأخي الى الحج..

حتى قال «فلما طعنتُ في ثماني عشرة سنة، صنفت كتاب «قضايا الصحابة والتابعين »ثم صنفت «التاريخ» في المدينة عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وكنت اكتبه في الليالى المقمرة، وقلّ اسم في التاريخ إلاولهٌ عندي قصة، إلا أني كرهت أن يطول الكتاب» (١٣٩)

وهو كتاب يشهدُ بجلالته أن حمله اسحق بن راهويهْ الى الأمير عبد الله بن طاهر وقال له «ألا أريك سحرا»

وأورد السبكى كلمة الامام أبي أحمد الحاكم التي ختمها بقوله، فالله يرحمه فأنه الذي أصل الأصول

ولم يبد فيما أعدنا من رواية الفُربرى كلام عن «الصحيح» وابتداء عمل البخاري فيه صراحة، وتكاد أول عبارة تطالعنا بذلك هي

«صنفتُ كتابي «الجامع» في المسجد الحرام، وما ادخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته»

و يسارع ابن حجر رحمه الله فيدفع اشكالا قد يرد على هذا النص بعد أن أشار الى نصوص أخرى مفادها «أنه كان يصنفه فى البلاد» فيقول

«بين هذا و بين ماتقدم أنه كان يصنفه في البلاد، أنه ابتدأ تصنيفه وترتيبه وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرّج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها، و يدل عليه قوله «أنه اقام فيه ــ أي في عمل الصحيح ست عشرة سنه» (١٤٠)

و يقول أبو يعلى «قال عبد الرحمن بن رساس البخاري، سمعت محمد بن اسماعيل البخاري يقول» صنفت كتابي «الصحيح» لست عشرة سنة، خرجته من ستمائه ألف حديث، وجعلته حجة فيما بيني و بين الله تعالى» (١٤١)

---

(١٣٩) ص ١٩ ــ ٢٠ من البحث

(١٤٠) هدى الساري ٢/ ٢٥ ــ الحلبي

(١٤١) هدى الساري جـ٢/

و يقرر ابن حجر أن أبا عبد الله لم يجاور فى مكة هذه المدة كلها ص ٢٦٢ جـ ٢ المقدمة.. ومقتضى ذلك أن يكون قد بدأ العمل فيه بعد الرحلة الميمونة التى بدأ بها رحلا ته في بلاد الله، حيث بدأ بمكة حاجاً مع أمه وأخيه!!

وما أعظم البذل، وأكرم التهيؤ والاحتشاد للكتاب الذي سار في الناس مسير الشمس.. وكم تغيب الشمس، وتستوحش لها النفس، ولكن الحياة تتتابع باسم الله خطواتها في نهار و يقوم في الليل هنا وهناك غير الشمس من الكواكب والأفلاك مايكفي و يشفي، وحاجة الناس الى صحيح البخاري لا تنقضى، فكانة حديث رسول الله بعد كتاب الله تعالى مجلوة ظاهرة.. وابن حجر يروي عن وراق الامام البخاري قول الامام:

«لاأعلم شيئا يُحتاج اليه الا وهوفي الكتاب والسنة» (١٣٤) فلا عجب أن يقيض الله للسنة رجالا يحسنون فيها أعمالا، وان تفاوتت في الحسن منازلها، حتى كان صحيح الامام البخاري الذي يعتبرو صحيح الامام مسلم أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، على مابينهما من تفاضل. و يقيني أن ابا عبد الله وهو يسأل الله أن ينفع المسلمين بكتابه الصحيح، لم يشب عزمته مثقال ذرة من طلب الشهرة، ولا إبتغاء الجاه، ولا اكتساب شيء من أعراض الحياة، وكان اخلاصه وصدقه وأمانته العلمية مبعث ماأصاب من بقاء سيرة وعطاء الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يُخفى صنائعه، والله يظهرها   ان الجميل اذا أخفيته ظهرا

وهل يؤنس غير التجرد فى أتم صوره من الامام الذي أراد أن يكون كتابه «الصحيح» حجة فيما بينه و بين ر به عز وجل؟!

ومن أجل هذا لم يضع فيه إلا صحيحا، بعد أن يستخير الله، ثم يتوضأ و يصلى ركعتين كما مرَّ ذلك من قوله..

وكان خير المسلمين قبالة نظره، وكده في كل ماصنف وألف، وعلّم، روى الحاكم ابوعبد الله بسنده، سمعت البخاري يقول.

«اقمت بالبصرة خمس سنين مع كتبي، أصنف وأحج كل سنة. وأرجع من مكة الى البصرة، وأنا أرجو أن يبارك الله للمسلمين في هذه المصنفات» (١٤٢)

ولقد بارك الله للمسلمين في آثار أبي عبد الله، وصحيحه بخاصة يقترنُ في الأذهان بكتاب الله تعالى، وهو أحق بذلك وأهله باعتباره الكتاب الذي لم يُسبق ولم يلحق ــ وهيهات ــ فيما استهدفه الامام من خدمة السنة المطهرة.
باستعداد وأمداد لم يتحهما الله لغير أبى عبد الله فى الكتاب ألهم حفظ الحديث وهو في العاشرة أو دونها، ثم هو يختلف الى مجالس العلماء، و يُراجع الداخلى، وهو في الحادية عشرة من عمره» ومعاذ الله أن تكون مراجعته من فراغ، أو عن رعونه وهوى، فلقد صحح الداخلي أصوله على حفظ الصَّبى المبارك، وكم يصرف موقف كهذا كثير ين عن الجد في الطلب، والامعان في التحصيل الى الرضّى عن النفس، والقَنَاعة بما أدركت، والاقبال على الدنيا وحُطامها، وانتهاز كل فرصة للمباهاة والمكاثرة والمخافرة، واثارة الجدل فيما لا ضرورة له، ولا حاجة اليه الا ابتغاء باطل و «خالفْ تُعرف» كما يفعل الحمقى لغير الحق.. و يرتحل أبو عبد الله ــ كما بُسطنا القول في ذلك ــ انتجاعا لمز يد من «العلم» من الحديث ورجاله، وتطيب نفسه بكل بذل، وتغمرُ السكينةُ فؤاده، وهو يبلغ في ذلك مراده، فلا يتوقف، ولكنه يتوسل بعون الله الى بلوغ ماوْراء الذي بلغ، ينهزه على ذلك رؤ يا رآها وكلام سمعه من أحد شيوخه.

يقول ابن حجر «فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين، وقوّى عزمه على ذلك ماسمعه من استاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقه اسحق بن ابراهيم الحنظلي المعروف بابن راهو يه، وذلك فيما أخبرنا أبو عباس أحمد بن عمر اللؤلؤي بسنده..

(١٤٢) طبقات الشافعية ٢/ ٢٢٥

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري «كنا عند اسحق بن راهو يه فقال: «لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم»؟!
قال: فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع الجامع الصحيح» (١٤٣)

وروى ابن حجر بسنده الثابت عن محمد بن سليمان بن فارس قال سمعت البخاري يقول.. «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وكأنني واقف بين يديه، و بيدى مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبر ين. فقال لى: أنت تذب عنه الكذب!! فهو الذى حملني على اخراج الجامع الصحيح» (١٤٤)

والرؤ يا معبَّرة حقا، وهى خليقة، بأن تحمل البخاري على استثمار حصيلته العلمية، واستثارة طاقته النفسية ومواهبه التى قلّ ان تجتمع في العشرات من الخاصة!.. ولا ريب ــ كما قال العلماء ــ في أن كثير ين سمعوا مع البخاري ماقال أستاذه ابن راهو يه، فما انبعث الى تحقيق طَلِبتِهِ، والوفاء برغبته؛ الا الرجل الذي انتدبته عناية الله لخدمة حديث رسول الله، على النحو الذي لم يدع ز يادة لمستز يد، ولم يقصر عن الوفاء لكل مستفيد وقديما قيل «قطعت جهيزة قول كل خطيب»!!

ورجاءة الشيخ ابن راهو يه لم تكن كلاما أرسل ارسالا، ولا حديثا اتجه الى غائب، لكنه اتجه به لمن يعرف، الى ذلك الذي يجتمع في خاطره كل ماقاله هو وتحدث به شيوخ أبي عبد الله، عنه ولو كانت الكلمات أصابع لأشارت الى البخاري دون سواه «والمؤمن ينظر بنور الله»

٢٣ ــ تعدد أسماء الجامع

وكم صدق الذين قالوا «إن تعدد الأسماء يدل على شرف المسَّمى»
وهذا القرآن الكريم يحمل في أطوائه اسماء له وصفات، أحصى الامام الزركشى

(١٤٣) هدى الساري جـ/ ٢٦٢
(١٤٤) طبقات الحنابلة جـ١ ص ٢٧٦

منها خمسة وخمسين اسما لكلام الله، وقرر أن أشهرها القرآن والفرقان والكتاب» (١٤٥) والسنة المطهرة يجامعها في اخص معانيها الحديث النبوي، وترادفها الاخبار والآثار عند العلماء المعتبر ين

ونرى الامام البخاري يسمى كتابه «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه» (١٤٦)

وأورد النوري مثل هذه التسمية تماما (١٤٧)

وخالف ابن حجر فقال من رواية البخاري «الجامع الصحيح المسند من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»

وأنت ترى كيف سقطت كلمة «المختصر»، وترى العدول في رواية ابن حجر عن لفظ «أمور رسول الله» الى «أحاديث رسول الله».

وهو لايكاد ينتهض خلافاً في عنوان، إن طال، وتعددت فيه الأسماء على خلاف المأنوس من أسماء الكتب، الا أنه أفاد فائدة جليلة، هي ابراز كل ماامتاز به «الجامع الصحيح» على ماسبقه في موضوعه، ولحق به في مجال السنة النبوية.. وكل اسم من هذه الأسماء المجموعة في التعريف بالكتاب ورد مفرداً على لسان البخاري في مواقف ألمحنا اليها من قبل، كتسميته «الجامع الصحيح» في خبر اسحق بن راهويه وتسميته «الجامع» في قوله «ماأدخلت في كتابي «الجامع» الاماصح....» وتسميته «الصحيح» في قوله «ماكتبت في كتابي «الصحيح» حديثا الا اغتسلت...» وربما اقتصر على اسم «الكتاب» كما ورد في ص ١٨ جـ١ من «هدى الساري».. وربما اختصر كل ذلك، واقتصر على اسم «البخاري» كما في قوله «هؤلاء لم يفهموا كيف صنفت «البخاري» ص ٢٦ جـ٢ «هدى الساري»

---

(١٤٥) هدى الساري جـ٢/ ٢٢٦

(١٤٦) هدى الساري جـ٢/ ٢٦٠

(١٤٧) هدى الساري جـ١ ص١٨

والاشارة ضرورية بما ذكرت في هذا السياق لجنة احياء كتب السنة، فهو تفصيل لهذا الاجمال جليل (١٤٨)

٢٤ ـ جوانب فذة من الكتاب

وقد يكون من المفيد أن أعرض ما نظرت اللجنة اليه، وعولت فيما أوردت عليه، في الفصل الثاني ص ١٩ جـ١ من «هدى الساري» «من كلام ابن حجر رضى الله عنه.

فلقد بين موضوع الكتاب، وأنه هو الأحاديث الصحيحة فقال «انه التزم فيه الصحه، وأنه لا يورد فيه الا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه» ـ وأورد ماذكره آنفا من تعريف البخاري وتسميته لكتابه (١٤٩)

ثم قال «ثم رآى أن لا يخليه من القواعد الفقهية، والنكت الحكمية، فاستخرج بفهمه من المتون معانى كثيرة، فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فأنتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الاشارة الى تفسيرها السُبل الوسيعة..» وهذا قول جليل وجميل في تفسير ما أراد البخاري من كلمة «الجامع» في تسمية كتابه.. وقد نظر ابن حجر في قوله ذلك الى كلام أورده للامام النووي رحمها الله وهو.. «ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها، والاستدلال لابواب أرادها» (١٥٠)

وذلك يطالع الناظر لأول وهلة في «الصحيح» و بغير خفاء، لكن الذي عُنِيَ بَه ابن حجر ومن تقدمه، ومن قَفَّى على آثارِه من العلماء أمور في القمة منها..

شرط الصحة عند الامام، وموافقة التراجم لأصول المتون المسندة، والحاجة أحيانا الى إعمال الفكر، والتماس الصلة بين هذين، ومعنى ايراد الحديث لماماً بدون سَند، أو ايراده معلقا.

---

(١٤٨) المصدر نفسه جزء وصحيفة.

(١٤٩) الامام الزركشى بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشى الشافعي من علماء القرن الثامن الهجري، وكتابُهُ «البرهان في علوم القرآن»

(١٥٠) مقدمة أبي عمرو عثمان ابن الصلاح

و يذكر ابن حجر اضافة ـــ لما تقدم من كلام النووي ـــ كاشفة للمراد فيقول:

«وانما يفعل هذا ـــ أي البخاري ـــ لانه أراد الاحتجاج للمسالة التي ترجم لها، واشار للحديث لكونه معلوما، وقد يكون مما تقدم، وربما تقدم قريبا، و يقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها مافيه حديث واحد، وفى بعضها مافيه آية من كتاب الله، و بعضها لاشيء فيه ألبتة» (١٥١)

٢٥ ـــ الجمع بين الترجمة وما يليها من أحاديث

ولقد كان الجمع بين الترجمة والأحاديث التي تليها، شغل العلماء، وهو حاجة طلاب العلم من بعدهم، وضالة من يمضى على طريقهم، وعلى طريق من يسير الراشد، اذا لم يترسم خطى علماء الحديث؟! وقد ساق ابن حجر كلاما للشيخ النووي في ذلك استأنس فيه بقول الامام الباجى ـــ أبى الوليد ـــ في كتابه «في أسماء رجال البخاري» عن الذين اتحد مأخذهم وانتساخهم للصحيح، ولكن نسخهم اختلفت تقديما وتأخيرا.. فقال الباجى.. «وانما ذلك بحسب ماقدر كل واحد منهم، فيما كان في طرة أو رقعة مضافة أنه من موضع ما، فأضافه اليه، و يبين ذلك انك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث»

قال الباجى «وانما أوردت هذا لما عنى به أهل بلدنا من طلب معنى يجمع بين الترجمة والحديث الذي يليها، وتكلفهم من ذلك من تعسف التأويل مالا يسوغ «اهـــ ويجيب ابن حجر على كل سؤال، و يدفع في هذا السياق كل اشكال، و يضع المنهاج، و ينهي كل لجاج، فيقول..

«وهذه قاعدة حسنة يفزع اليها حيث يتعسر وجه الجمع بين الترجمة والحديث وهى مواضع قليلة جدا..»

---

(١٥١) الاسماء واللغات ١ ـــ ٧٥

قال «ثم ظهر لى أن البخاري فيما يورده من تراجم الأبواب على أطوار»
«إن وجد حديثا يناسب ذلك الباب ولو على وجه خفيّ، و وافق شرطه؛ أورده فيه بالصيغة التى جعلها مصطلحه لموضوع كتابه وهى «حَدَّثنا» وما يقوم مقامها، والعنعنة بشرطها عنده..

وان لم يجد الا حديثا لا يوافق شرطه مع صلاحيته للحجة كتبه في الباب مغايراً للصيغة التى يسوق بها ماهومن شرطه، ومن ثمة أورد التعاليق..
وان لم يجد فيه حديثا صحيحا لا على شرطه ولا على شرط غيره، وكان مما يستأنسُ به و يقدمه قوم على القياس، استعمل لفظ ذلك الحديث أو معناه ترجمة باب، ثم أورد في ذلك إما آية من كتاب الله تشهد له، أو حديثا يؤ يد عموم مادل عليه ذلك الخبر»(١٥٢)واشير في ايجاز يواتي تفصيله ــ ان شاء الله ــ الى اعتبار ابن حجر، تراجم الامام البخاري جانبا من جوانب كماله، وشاهدا من شواهد فضله..

وهى لمحة بصيرة من ابن حجر من الخيران نلقى القارئ على مز يد بسط الامام لها لأهميتها بعد قليل..

٢٦ ــ شرط البخاري في صحيحه..

ان بيان شرط البخاري في صحيحه ضروري لاستجلاء المستوى الذي ارتفع به على ماسبقه من كتب السنة.. وما عاصره أو تأخر منها!!
قال ابن حجر بسنده عن أبي المعمر المبارك بن أحمد عنه..

«شرط البخاري ان يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلته الى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الأ ثبات، و يكون اسناده متصلا غير مقطوع، وان كان للصحابي راو يان فصاعدا فحسن، وان لم يكن الاراو واحد، وصح الطر يق اليه، كفى» (١٥٣).. ان مدار الصحة عنده ــ كما يبدو ــ على اتصال السند، اتصال السند والرواة الأثبات وانتفاء العلة ولاعبرة عنده باتصال السند

(١٥٢) التعر يف بأمير المؤمنين في الحديث ص ١٠٦ ــ ١١٦
(١٥٣) هدى الساري جــ ١ ص ١٩

الا اذا ثبت اجتماع المعنعن، ومن عنعن عنه، وهو اللُّقِيُّ ولو مرة، وذلك أمر انفرد به رحمه الله على كل أصحاب الصحيح حتى الامام مسلم الذي كان يكتفي بالمعاصرة لإعطاء الاسناد المعنعن حكم الاتصال كما قال ابن حجر رحمه الله.. (١٥٤)

«وقد أظهر البخاري هذا المذهب في تاريخه وجرى عليه في صحيحه، وأكثر منه، حتى أنه ربما خرج الحديث الذي لاتعلق له بالباب جملة الاليبين سماع راو عن شيخه، لكونه قد أخرج له قبل ذلك شيئا معنعنا»

٢٧ ـ رواة البخاري..

ان رواه البخاري هم في الطبقة العليا التى جمعته بين الحفظ والاتقان، وهى إحدى خمس طبقات يؤلفون أصحاب الزهري، وكل طبقة منها تفضل ماوراءها، وتمتاز بميزة معتبرة على التي تليها.. وهذا ابوبكر الحازمى يقول

«فمن كان في الطبقة الأولى فهو الغاية في الصحة، وهو مقصد البخاري.. والطبقة الثانية شاركت الأولى في التثبت، الا ان الأولى جمعت بين الحفظ والاتقان، وبين طول الملازمة للزهري، حتى كان فيهم من يزامله في السفر، ويلازمه في الحضر، والطبقة الثانية لم تلازم الزهري الامدةيسيرة، فلم تمارس حديثه، فكانوا في الاتقان دون الأولى، وهوشرط مسلم (١٥٥)

وعاد الحازمى بعد أن مثل للطبقات الخمس يقول

«فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخاري، وقد يخرج من حديث اهل الطبقة الثانية مايعتمده من غير استيعاب، وأما مسلم فيخرج أحاديث الطبقتين على سبيل الاستيعاب ويُخرج أحاديث أهل الطبقة الثالثة على نحو ماصنع البخاري في الثانية ــ أي تعليقا ــ أما الرابعة والخامسة فلا يخرجان عليها أبدا» (١٥٦)

---

(١٥٤) المصدر السابق جزء وصحيفة

(١٥٥) راجع في ذلك وما يليه ص ١٩ جـ ١ «هدى الساري»

(١٥٦) هدى الساري جـ١/ ١٩ ــ ٢٠

و يعقب ابن حجر على ذلك قائلا «وأكثر مايخرج البخاري حديث الطبقة الثانية تعليقا وربما أخرج اليسير من حديث الطبقة الثالثة أيضا ص/٢١ والمراد بالتعليق «الحديث الذي حذف من مبدأ اسناده واحد فأكثر، ولو الى آخر الاسناد» كما قال ابن حجر/٢٧

٢٨ ــ اشتمل الصحيح على ماغاير شرط البخاري؟

لقد التزم البخاري دواماً الصحة التي وصف بها كتابه، وصرح بها عدة مرات بمثل قوله «ما ادخلت في كتابي «الجامع» الا ماصح...»

مايضائل من ذلك قيد شعرة أن «الصحيح» اشتمل على أحاديث ليست على شرط البخاري، لأن الامام أعطى الصحيح وغيره من الأحاديث التي أوردها طابعها الخاصّ، ووصفها المميز.

وليس كل ما ترك البخاري اسناده في كتابه، قد فقد شرطه في الصحة، فأن فيما أورده غير موصول أحاديث صحيحة على شرطه، وأخرى لا تأخذ وصف الصحيح عنده، وهو يورد بغير اسناد ماتوفر فيه شرطه من الأحاديث لأمور.. منها.

قصد التخفيف لأنه ذكره في موضع آخر موصولا، فقاعدته التى التزمها كذلك ألا يكرر الحديث إلا لفائدة، ومن يضطر الى تكرير حديث اشتمل متنه على أحكام ضرورية فانه يكرره و يتصرف في اسناده بالاختصار خشية التطويل، و يتعمدُ ذلك رغبة عن التكرار، وثقة في أن صحة الحديث تعرف في ذلك الوضع الذي وضعه فيه..

وهو يدع الاسناد للاستغناء بوصله عن وصل غيره، وايراده معلقا لافادة الاشارة اليه وتجنيب اهماله، أو يدع اسناده لانه لم يسمعه من شيخه، أو سمعه مذاكرة أو شك في سماعه فلم يسغ عنده سوقه مساق الأصول.

و يدع الاسناد للأحاديث التي لا تكتسب وصف الصحة على شرطه، وهو يعتمد ذلك لينبه على أنها خارجة عن موضوع كتابه «وهو الحديث الصحيح»

هذه قطوف من كتابه «التعريف بأمير المؤمنين في الحديث البخاري (١٥٧) عمدته فيها ماذكره ابن حجر عن الحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر القدسى في جزء سماه «جواب المتعنت» قال «اعلم ان البخاري رحمه الله كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع و يستدل به لكل باب باسناد آخر، و يستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي خرجه فيه، وقلما يورد حديثا في موضعين باسناد واحد، ولفظ واحد، وإنما يورده من طريق إخرى لمعان نذكر منها.

أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر. والمقصود منه ان يخرج الحديث عن حد الغرابة وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة، وهلم جرا الى مشايخهِ، فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار، وليس كذلك، لاشتماله على فائدة زائدة.. ومنها أنه صحح أحاديث على هذه القاعدة يشتمل كل حديث منها على معان متغايرة، فيورده في كل باب من طريق غير الطريق الأول..

ومنها أحاديث يرويها بعض الرواة تامة، و يرويها بعضهم مختصرة، فيوردها كما جاءت ليزيل الشبهة عن ناقلها..

ومنها أن الرواة رُبَّما اختلفت عباراتهم، فحدث راو بحديث فيه كلمة تحتمل معنى، وحدث به آخر، فعبر عن تلك الكلمة بعينها بعبارة أخرى تحتمل معنى آخر، فيورده بطرقه اذا صحت على شرطه، و يفرد لكل لفظة بابا مفردا..

ومنها أحاديث تعارض فيها الوصل والارسال، ورجح عنده الوصل فاعتمده، وأورد الارسال منبهاً على أنه لا تأثير عنده في الوصل..

ومنها أحاديث تعارض فيها الوقف والرفع والحكم فيها كذلك.

ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلاً في الاسناد، ونقصه بعضهم فيوردها على الوجهين حيث يصح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر، ثم لقى الآخر فحدثه به، فكان يرويه على الوجهين..

---

(١٥٧) هدى الساري جـ١ ص ٢٠/ الحلبي

ومنها انه ربما روي حديثاً عنعنه راو يه، فيورده من طر يق أخرى مصرحا فيها بالسماع، على ماعرف من طر يقته في اشتراط ثبوت اللقاء في المعنعن.

ثم قال «فهذا جميعه فيما يتعلق باعادة المتن الواحد في موضع آخر أو اكثر (١٥٨) وأورد ابن حجر بعد ذلك سبب تقطيع البخاري للحديث على الأبواب تارة، واختصاره منه على بعضه في أخرى، في نظرات ثاقبة أشرنا الى بعضها فيما أجملناه من كلام لجنة احياء كتب السنة ١٠٨ ــ ١١٠

ونضيف الى ذلك من كلام ابن حجر أن الامام البخاري كان ينظر في المتن، فإن كان قصيرا او مرتبطا بعضه ببعض، وقد اشتمل على حكمين فصاعدا، فإنه يعيده بحسب ذلك كما أسلفنا، مراعيا عدم اخلائه من فائدة حديثية، وهي إيراده له عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك، فتستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث وربما أضاف عليه مخرج الحديث حيث لا يكون له الا طر يق واحدةو فيتصرف فيه حينئذ فيورده في موضع موصولا، وفي موضع معلقا، و يورده تارة تاما، وتارة مقتصرا على طرقه الذي يحتاج اليه في ذلك الباب»

ثم نظر نظرة ثانية الى المتن من حيث اشتماله على جمل منفردة، لا ترتبط احداها بالأخرى فأنه يورد كل جملة على حدة في موضعها ومناسبتها..

قال ابن حجر «وربما نشط فذكره بتمامه» (١٥٩) وطر يقة البخاري أنه لايعيد في «الصحيح حديثا بجميع اسناده ومتنه، وإن كان ابن حجر يجيز وقوع ذلك من الامام بقلة وعن غير قصد وهو ينبه الى ذلك في تواضعه، و يورد أمثلة على ما اقتصر فيه ببعض المتن ولم يذكر بعضه الآخر في موضع آخر و يقول ابن حجر «فانه لايقع له ذلك في الغالب الا حيث يكون المحذوف موقوفا على الصحابي، وله شيء قد يحكم برفعه فيقتصر على الجملة التي يحكم لها بالرفع ويحذف الباقى لأنه لا تعلق له بموضوع كتابه» (١٦٠)

(١٥٨) المصدر السابق..٢٣

(١٥٩) هدى الساري جـ١ ص ٢٠/ الحلبي

(١٦٠) المصدر السابق/٢٠ ــ ٢١

واورد ابن حجر مثالا على ذلك ثم قال..

«ان هذا من أخفى المواضع التى وقعت له من هذا الجنس»

ومضى يقرر مرة أخرى أن الامام لا يعيد حديثا إلا لفائدة إن لم تظهر في الاسناد والمتن فانما يوجبها مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية، وفاء لما حرص الامام عليه من ان لايخلى صحيحه من مائدة إسْنَادية، وحتى إخراجه الاسناد عن شيخ غير الشيخ الماضي او غير ذلك حتى قال ابن حجر «وهذا بين لمن استقرأ كتابه وانصف من نفسه.. (١٦١).

ــ حسن لا يتناهى

ان جوانب الحسن والجلال في الصحيح لا تتناهى والعلماء وطلاب المعرفة الحقة يواجهون الجديد الطارف كلما أنعموا فيه النظر، وأعملوا العقول صادقين، وأبن حجر في المقدمة «هدى الساري» يجلو من ذلك وجوهاً هى أشبه بالبخاري و بابن حجر على سواء، والمرء يحار ماذا يشير اليه من تلكم الفرائد وماذا يذكر بعد؟! وماذكرناه غيض من فيض مما لم نذكر مما ابقى البخاري، وَوَرَّث العلماءُ الناسَ من ذلك التراث الجليل..

إن معرفة الذين تتلمذوا على البخاري، ورووا عنه ضرورية في استكمال صورة الجلال العلمى الذي أنعقد للامام لواؤه.. قال الامام النووي..

«وقد قدمنا أنه كان يحضر مجلسه ــ اي البخاري ــ أكثر من عشرين ألفا يأخذون عنه.. «وممن روى عنه من الائمة الاعلام الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح وأبو عيسى الترمذي، وابو عبد الرحمن النسائي، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، وابو اسحق ابراهيم بن اسحق الحربى الامام، وصالح بن محمد جزرة الحافظ، وأبو بكر بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن عبد الله مطين، وكل هؤلاء أئمة حفاظ وآخرون من الحفاظ غيرهم

---

(١٦١) لجنة احياء كتب السنة ــ القاهرة ص ١٠٨ ــ ١١٠

قال الخطيب: آخر من حدث ببغداد عن البخاري، الحسن بن اسماعيل المحاملى (١٦٢) وابتداء الامام النووي بذكر مسلم رضوان الله عليه على رأس من أخذوا وتتلمذوا على البخاري له دلالته فمن العلماء من فضّل صحيح مسلم على صحيح البخاري وخطؤهم فيما قالوا لا يعوزه برهان، وهو الذي ذهب اليه جمهور العلماء..

وأراني أمام كلام للامام مسلم — قال النووي «وروينا عن الامام مسلم بن الحجاج أنه قال للبخاري.. «لا يبغضك الا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك» ( )

وقال «وروينا عن محمد بن يعقوب الحافظ عن أبيه قال «رأيت مسلم بن الحجاج بين يدى البخاري، يسأله سؤال الصبى المعلم» (١٦٣)

وعمل مسلم وقوله كافيان — اذا تركنا نصوصاً أخرى لها دلالاتها — في الدلالة على أستاذية البخاري وسبق صحيحه لصحيح مسلم في مبادين الفضل..

وهذا الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول:

«اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز، الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتها الأمة بالقبول، وكتاب البخاري أصحهما واكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة، وقد صح أن مسلما كان ممن يستفيد من البخاري، ويعترف أنه ليس له نظير في علم الحديث..

وهذا الذي ذكرناه من ترجيح كتاب البخاري هو المذهب المختار الذي قاله الجماهير وأهل الاتقان والحذق والغوص على أسرار الحديث...» حتى قال..

«ومن أخصر مايترجح به اتفاق العلماء على أن البخاري أجل من مسلم وأعلم بصناعة الحديث منه، وقد انتخب علمه ولخص مالرتضاه في هذا الكتاب — صحيح مسلم — ثم قال.. «وقد ذكرت دلائل هذا كله في أول شرح صحيح

---

(١٦٢) هدى الساري جـ١ ص٢٦

(١٦٣) المصدر السابق ص٢٩

البخاري، ومما ترجح به كتاب البخاري أن مسلماًرحمه الله كان مذهبه، بل نقل الاجماع في أول صحيحه أن الاسناد المعنعن له حكم الموصول بسمعتُ بمجرد كون المعنعن والمعنعن عنه كانا في عصر واحد، وان لم يثبت اجتماعهما، والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعهما..

وهذا المذهب يرجح كتاب البخاري، وان كنا لا نحكم على مسلم بعمله في صحيحه بهذا المذهب لكونه يجمع طرقا كثيرة يتعذر معها وجود الحكم الذي جوزه (١٦٤) والذي قاله الجماهير لايقلل من قيمته قول بعض علماء المغرب الذين وافقوا أبا علي النيسابوري فيما روى عنه «أن كتاب ــ مسلم أصح» ومن العلماء من قرر أنه لم يعثر على هذا القول للنيسابورى!!!

قال النووي «والصحيح الأول ــ أن كتاب البخاري أصح ــ قال: وقد قرر الامام الحافظ الفقيه النظار ابو بكر اسماعيلى رحمه الله في كتابه «المدخل» ترجيح كتاب البخاري.

وأورد النووي قول النسائى «مافي هذه الكتب كلها أجود من كتاب البخاري (١٦٥) وذلك مسطور في «تهذيب الأسماء والصفات جــ ١ ص ٧٣ وذيل ٧٤ مع اضافات أجلها دلائل ترجيح صحيح البخاري على صحيح مسلم.. وقول النسائى وهو شيخ أبى علي النيسابوري

«أصح هذه الكتب كتاب البخاري» والنسائى يعنى بالصحة مجرد جودة الأسانيد كما قال إبن حجر؟ و يقول الجزري في ترجمته للامام مسلم قال الخطيب البغدادي «إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه «قال الجزري» ولما ورد البخاري نيسابور في آخر عمره لازمه مسلم وأدام الاختلاف اليه»

وقال الدار قطني «لولا البخاري، لما ذهب مسلم ولا جاء» (١٦٦)

---

(١٦٤) هدى الساري جــ ١ ص ٢٧

(١٦٥) المصدر السابق

(١٦٦) تهذيب الاسماء واللغات جــ ١ ص ٧٣

ولقد أورد ذلك ابن حجر جـ ١ ص ٢١ من كلام ابن الصلاح رحمهما الله منوها بأن مسلم وان أخذ عن البخاري واستفاد منه فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه..

كذلك قال ابن الصلاح «وأما مارو يناه عن الشافعي رضى الله عنه انه قال..

«ما أعلم في الأرض كتابا في العلم أكثر صوابا من كتاب مالك «أو كما قال بعضهم» أصح من الموطأ».

فانما قال ذلك قبل وجود كتابي البخاري «ومسلم...»

حتى قال بعد ايراد كلمة النيسابوري «فهذا وقول مَنْ فَضَّل من شيوخ المغرب صحيح مسلم على صحيح البخاري، ان كان المراد به أن كتاب مسلم يترجح بأنه لم يمازجه غير الصحيح، فإنه ليس فيه بعد خطبته الا الحديث الصحيح مسرودا غير ممزوج بمثل مافي كتاب البخاري في تراجم أبوابه من الاشياء التى لم يسندها على الوصف المشروط في الصحيح، فهذا لا بأس به!! وليس يلزم منه أن كتاب مسلم أرجح فيما يرجع الى نفس الصحيح على كتاب البخاري» «وإن كان المراد به أن كتاب مسلم اصح صحيحا فهذا مردود على من يقوله» (١٦٧) ولقد ناقش ابن عبد البر ودلل في السطور التالية لكلام ابن الصلاح كلام الشافعي عن الموطأ ورد على استشكال تقديم كتاب البخاري وأصحيته على الموطأ، بكلام جزل تورد منه قوله «فقد استشكل بعض الأئمة اطلاق أصحية كتاب البخاري على كتاب مالك» مع اشتراكهما في اشتراط الصحة والجواب عن ذلك أنَّ ذلك محمول على اصل اشتراط الصحة.. فمالك لا يرى الانقطاع في الأسناد قادِحًا فلذلك يخرج المراسيل والمتقطعات والبلاغات في أصل موضوع كتابه»

والبخاري يرى أن الانقطاع علة فلا يخرج ماهذا سبيله الا في غير أصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم»

ولا شك أن المنقطع وأن كان عند قوم من قبيل مايحتج به، فالمتصل أقوى منه اذا اشترك كل من رواتها في العدالة والحفظ، فبان بذلك شفوف كتاب البخاري»

---

(١٦٧) المصدر السابق/ ٦٨ جـ ١

«وَعُلم أن الشافعي انما أطلق على الموطأ أفضلية الصحة بالنسبة الى الجوامع الموجودة في زمنه كجامع سفيان الثورى، ومصنف حماد بن سلمة وغير ذلك، وهو مسلم لا نزاع فيه»

ونظر ابن حجر رحمه الله الى قول النيسابوري ــ ان صح فهو لم يجده ــ وقول بعض شيوخ المغاربة في أفضلية كتاب مسلم، فقال ان قولهم في «الافضلية لا في الصحة، وكأنه يجيز هذا فقد رد الاذهان الى كلمة النيسابوري وفهم شيخه النسائي أن المراد بالجودة جودة الأسانيد كما هو المتبادر الى الفهم من اصطلاح الحديث. وقال ابن حجر «ومثل هذا من مثل النسائي غاية في الوصف مع شدة تحرّ ية وتوقيه وتثبته في نقد الرجال وتقدمه في ذلك على اهل عصره» (١٦٨)
وكم أحسن ابن حجر وهو يلحق بهذا السياق كلمة الاسماعيلي في كتابه المدخل وهي

«أما بعد، فقد نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه ابو عبد الله البخاري فرأيته جامعا كما سمى لكثير من السنن الصحيحة، ودالاً على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل مثلها الا من جمع الى معرفة الحديث والفقه، والعلم بالروايات وعللها، علما بالفقه واللغة، وتمكنا كلها، وتبحراً فيها وكان يرحمه الله الرجل الذي قصر زمانه على ذلك، فبرع و بلغ الغاية، فحاز السبق، وجمع الى ذلك حسن النية والقصد للخير فنفعه الله ونفع به، وقد نَحَا نَحْوهُ في التصنيف جماعة منهم الحسن بن علي الحلواني، لكنه اقتصر على السنه..

ومنهم أبو داود السجستاني فكان في عصر ابي عبد الله البخاري ،فسلك فيما سماه سننا ذكر ماروى في الشيء وان كان في السند ضعف اذا لم يجد في الباب غيره.

ومنهم مسلم بن الحجاج، وكان يقاربه في العصر، فرام مرامه، وكان يأخذ عنه أو عن كتبه! الا أنه لم يضايق نفسه مضايقة أبى عبد الله وروى عن

---

(١٦٨) ص ١٤ جـ ١ شرح النووي لصحيح مسلم

جماعة لم يتعرض أبو عبد الله للرواية عنهم.. وكل يقصد كذلك الخير غير ان أحدا منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله «ولا تسبب الى استنباط المعاني، واستخراج لطائف فقه الحديث، وتراجم الأبواب الدالة على ماله صلة بالحديث المروي فيه تسببه ولله الفضل يختص به من يشاء» (١٦٩)

وأورد ابن حجر فور ذلك كلاما للحاكم أبي احمد النيسابوري المقدم على أبي على النيسابوري معاصرة في معرفة الرجال، وأعاد كلمة الدارقطنى التي أسلفناها له في البخاري ومسلم، وكلمة أخرى هى «واى شيء صنع مسلم»؟ أنما أخذ كتاب البخاري يعمل على مستخرجه وزاد فيه زيادات وقال ابن حجر «إن هذا من كلام الدارقطنى جزم به القرطبي في أول كتابه المفهم في شرح صحيح مسلم» (١٧٠)

والحق أن ذلك كله لا يضائل من عمل الإمام مسلم في صحيحه، وامامته رضى الله عنه في ذلك تسيرُ في الناس مسير الشمس، وانما القصد من تحقيق العلماء هو اثبات أن البخاري رحمه الله كان أعلم بهذا الفن من مسلم، وأن مسلم كان يشهد له بالتفوق والتقدم والامامة والتفرد بمعرفة ذلك في عصره حتى هجر الإمام مسلم شيخه محمد بن يحيى الذهلى غنى بالبخاري عنه (١٧١)

وانها لمناسبة ماسة لإيراد هذا الموقف من الأمام مسلم لأنه اعلاء للعلم، ورفض لمغريات الحياة وجلاء لواحدة من المحن التي واجهها في أخريات حياته الامام البخاري بغير ذنب جناه، الا علمه وفضله فلقد قصد الامام البخاري نيسابور بعد أن نَبَابِهِ وطنه، وضاق به قومه الذين آثر أن يرد اليهم بعلمه دينا في اعناق الأبرار للأوطان والديار، واستقبلت نيسابور الامام بما هو أحق به واهله من تكريم فما رآى الامام مسلم والياً ولا عالما فعل له أهل نيسابور مافعلوا بالبخاري أذ استقبلوه من وصلتين او ثلاث من البلد (١٧٢)

---

(١٦٩) شرح النووي لمسلم جـ ١ ص ١٤

(١٧٠) جامع الأصول للجزري جـ ١ ص ١٨٦

(١٧١) هدى الساري جـ ١ ص ٢١ وهو نهاية كلام ابن الصلاح

(١٧٢) هدى الساري جـ ١ ص ٢١ ـ ٢٢

ولـقد قال محمد بن يحيى الزهلي عالم نيسابور يومئذ لجلسائه وطلاب العلم منه «من أراد أن يستقبل محمد بن اسماعيل غدا فليستقبله فاني استقبله»

ولـقـد استـقـبله وكان يجلس في مجلسه مع عامة علماء نيسابور، ولكن أبا عبد الله لم يلبث غير قليل في نيسابور حتى انتاشتهُ الأحقاد والمكايد «بعد أن قصده النـاس وازدحموا عـلـى مـنـزله في دار البخار يين، حتى امتلأت الدار والسطوح، وقالوا عن الامام البخاري مالم يقل في ماسموه «خلق القرآن» وكلامه في القرآن لمن سأله عن اللفظ بالقرآن واضح جلي وقد قال ابو احمد بن عدى ذكر لى جماعة من المشايخ أن محـمـد بـن اسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عندهُ حسده بـعض شيوخ الوقت فقال لأصحاب الحديث: ان محمد بن اسماعيل يقول «لفظى بـالـقـرآن مخلوق» فلما حضر المجلس قام اليه رجل فقال: يا أبا عبد الله، ماتقول في اللفـظ بـالـقـرآن مخلوق هو أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري، ولم يجبه ثلا ثا، فـألـح عـلـيـه، فـقـال البخارى «القرآن كلام الله غير مخلوق، وافعال العباد مخلوقة، والامتحان بدعة»؟؟ فشغب الرجل وقال: قد قال لفظى القرآن مخلوق»

وقال الحاكم بسنده عن الفُربرى «سمعت محمد بن اسماعيل يقول «إن أفعال العباد مخلوقه» واستأنس بأحاديث نبو ية وكلمات للبخاري (تعضد) ماقاله البخاري، على انه قال رحمه الله «حركاتهم وأصواتهم وأكسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المبين المثبت في المصاحف الموعى في القلوب فهو كلام الله غير مخلوق، قال الله تعالى «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» العنكبوت/٤٩ قال وقال اسحق بن راهو ية «أما الأوْعية فمن يشك أنها مخلوقة» (١٧٣)

ان الامام كان وهو يقصد نيسابور بعد بخاري وما لقى فيها لا يريد جاها، ولا تـتعلق نفسه بشيء من الحطام الذي يستعبد الاقوام، ولكنه ابتغى شيئا من الاستقرار بعد أن نبت به الدار.. و بغى عليه في بخاري من كان يؤثر نفعهم، و يرجو دفعهم، وكان في نيسابور بعد ذلك: كالمستجير من الرمضاء بالنار.

---

(١٧٣) المصدر السابق

ولقد كان الذهلي يستطيع أن يطفىء الفتنة المطلة منذ اللحظة الأولى في نيسابور، لكن جذوة الأحقاد التي شبها في قلبه علم البخاري وفضله ونبله وتساميه كانت أكبر من همة رجل افترى الكذب على البخاري وتولى كبره واتهم الذين يترددون على مجلس البخاري بالابتداع الذي وَصَفَهُ رحمه الله به وقال «ومن ذهب بعد ذلك الى محمد بن اسماعيل فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه الا من كان على شاكلته ومذهبه، ولقد ترك الناس مجلس البخاري الا مسلم بن الحجاج وأحمد بن سلمه وذكر ابن حجر أن مسلم لم يكد يسمع كلام الذهلى ذاك حتى أخذ رداءه فوق عمامته وقام على رءوس الناس، فبعث الى الزهلى جميع ما كان كتبه عنه على ظهر حمَّال» (١٧٤)

وللقصة بقية عاود بعدها البخاري نيسابور كيلا يحرج الناس بمكايد الذهب وأوضار نفسه، فانه لما علم من احمد بن سلمه النيسابوري الحاج الرجل وضيقه بالبخاري، وعجزهم عن الكلام معه وهو مقبول بخراسان و بخاصة في نيسابور. قال ابو عبد الله وهو يقبض على لحيته..

«وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد» غافر/٤٤ اللهم انك تعلم أنى لم ارد المقام بنيسابور أشراً ولا بطرا ولا طلبا للر ياسة، وانما أبت على نفسي الرجوع الى الوطن لغلبة المخالفين، وقد قصدتى هذا الرجل حسداً لما آتاني الله لاغير» (١٧٥)

٣٠ ــ الامام ابن تيمية وكتب السنة

قال الامام ابن تيمية رحمه الله فى معرض الدلالة على ان الامام مالك بن أنس كان أقوم الناس بمذهب أهل المعرفة «ولهذا قال الشافعى رحمه الله» ما تحت أديم السماء كتاب ــ أكثر صواباً بعد كتاب الله من موطأ مالك قال شيخ الاسلام رحمه الله، وهو كما قال الشافعى (١٧٦) وهذا لا يعارض ما عليه أئمه الاسلام من

---

(١٧٤) هدى الساري جــ١ص ٢١ ــ ٢٢

(١٧٥) المصدر السابق

(١٧٦) هدى الساري جــ٢/ ٢٦٢ ــ ٢٦٣

انه ليس بعد القرآن كتاب أصح من صحيح البخارى ومسلم، مع أن الأئمة على أن البخارى أصح من مسلم، ومن رجح مسلماً فإنه رجحه بجمعه ألفاظ الحديث فى مكان واحد، فإن ذلك أيسر على من ير يد جمع ألفاظ الحديث ...

وأما من زعم أن الأحاديث التي انفرد بها مسلم، أو الرجال الذين أنفرد بهم أصح من الأحاديث التى أنفرد بها البخاري، ومن الرجال الذين انفرد بهم، فهذا غلط لا يشك فيه عالم .. كما لا يشك احد أن البخارى أعلم من مسلم بالحديث والعلل والتار يخ وأنه افقه منه، إذ البخارى وأبو داود افقه أهل الصحيح والسنن المشهورة، وإن كان قد يتفق ببعض ما انفرد به مسلم أن يرجح على ما انفرد به البخارى فهذا قليل، والغالب بخلاف ذلك، فان الذى اتفق عليه أهل العلم انه ليس بعد القرآن كتاب اصح من كتاب ــ البخارى ومسلم.

ثم قال رحمه الله «وإنما كان هذان الكتابان كذلك، لانه جرد فيهما الحديث الصحيح المسند، ولم يكن القصد بتصنيفهما ذكر آثار الصحابة والتابعين، ولا سائر الحديث من الحسن والمرسل وشبه ذلك، ولا ر يب أن ما جرد فيه الحديث الصحيح المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أصح الكتب، لأنه اصح متقولا عن رسول الله المعصوم من الكتب المصنفة»(١٧٧)

وهكذا يَبْدُو أنَّ موطأ مالك رحمه الله كان له منهجه ــ كما أسلفناه ــ وكما أشار الى ذلك ههنا الامام ابن تيمية في كلمته الدالة «ولا ر يب أن ماجرد فيه الحديث المسند عن الرسول فهو أصح الكتب مع قوله قبلا «ولم يكن القصد بتصميفهما ــ البخاري ومسلم آثار الصحابة والتابعين ولاسائر الحديث من الحسن والمرسل..» وجزى الله الجميع عن حديث رسوله ماهم أهله.

وليكن مقطع القول في صحيحي البخاري ومسلم قول إبن حجر رحمه الله «قررنا أن مدار الحديث الصحيح على الا تصال واتقان الرجال، وعدم العلل، وعند التأمل يظهر أن كتاب البخارى اتقن رجالا، وأشد اتصالا وذكر وجوه ذلك ودلالا ته مما لا يعوز بعد ذلك لدليل (١٧٨).

(١٧٧) المصدر نفسه ص ٢٦٣

(١٧٨) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٦٣

٣١ ـ همة البخارى ..

إن المدى العلمى الذى ارتفع الى قمته الامام البخارى، يقدّم اليوم ـ اضعاف ما قدم منذ عصر البخارى رحمه الله اعذارا للذين يحاولون دراسته، وهو الذى يقول «لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرحل، ومداومة النظر» (١٧٩)

ونرانا ننفق جهداً كبيراً لإحصاء احاديث الصحيح فى أبوابه، ونعجز فى محاولة ما فعل انئذ فى الوقوف امام سند كل حديث، وتقديم اليسير مما قيل فيه، وبيان تعاليق الصحيح المرفوعة والإشارة إلى من وصلها، والمتابعات التى تلتحق بها فى الحكم.

والمناسبة متاحة للإعراب .. مرة أخري .. عن الجهة العظمى والجانب الهامّ من جوانب الصحيح التى أوْجبت له التقدم والفضل، انها تراجم «الصحيح» التي يضيف لها قدراً على قدر ان أبا عبد الله حول تراجم ـ جامعه ـ كما قال أبو احمد بن عدي بسنده ـ و بيضها بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره ، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين»(١٨٠)

ان الترجمة للباب تقوم مقام العنوان للكتاب، فهويدل على مضمونه، ويجمع فى عبارة قصيرة فحواه ـ ولكن تراجم الامام البخارى تبدو أنواعاً منها الظاهر الدال على ما اندرج تحتها من أحاديث والامام ابن حجر يراها لدلالتها ليس ذكرها غرضاً له و يرى ان فائدتها الاعلام بما ورد فى ذلك الباب أيًّا كانت تلك الفائدة. و يورد نوعاً آخر من التراجم وهو ان تكون الترجمة بلفظ المترجم له او بعضه أو بمعناه .. قال وهذا فى الغالب قد يأتى من ذلك ما يكون فى لفظ الترجمة احتمال لأكثر من معنى واحد فيبين أحد الاحتمالين بما يذكره تحتها من الحديث.

وقد يوجد فيه ما هو العكس من ذلك بأن يكون الاحتمال فى الحديث والتعيين فى الترجمة والترجمة هنا بيان لتأويل الحديث نائبة مناب قول الفقيه مثلا .. المراد بهذا الحديث العام الخصوص أو بهذا الحديث الخاص العموم، إشعارا

(١٧٩) المصدر السابق ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤

(١٨٠) فقد كان ذلك قبل زمن البخاري ومسلم.

بالقياس لوجود العلة الجامعة.. أو أن ذلك الخاص المراد به ما هو أعم مما يدل عليه ظاهره بطريق الأعلى أو الادنى .. و يأتى فى المطلق والمقيد نظير ما ذكرنا فى الخاص والعام، وكذا فى شرح المشكل، وتفسير الغامض، وتاو يل الظاهر، وتفصيل المجمل..

وهذا الوضع هو معظم ما يشكل من تراجم هذا الكتاب .. ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء فقه البخارى فى تراجمه . وأكثر ما يفعل البخاري ذلك إذا لم يجد حديثاً على شرطه فى الباب ظاهر المعنى فى المقصد الذى ترجم له ..

وقد يفعل ذلك لشحذ الأذهان فى إظهار مضمره واستخراج خبيئه، وكثيراً ما يفعل ذلك ــ الأخير ــ حيث يذكر الحديث المفسر لذلك فى موضع آخر متقدماً أو متأخراً، فكأنه يحيل عليه، و يومىء بالرمز والاشارة اليه..

وكثيراً ما يترجم بلفظ الاستفهام كقوله .. باب هل يكون كذا؟ أو من قال كذا؟ ونحو ذلك، وذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين وغرضه بيان هل يثبت ذلك الحكم أولم يثبت فيترجم على الحكم ومراده ما يتفسر بعد من إثباته أونفيه، أو أنه محتمل لهما، وربما كان أحد المحتملين أظهر، وغرضه أن يبقى للنظر مجالا، و ينبه على أن هناك احتمالا أو تعارضاً يوجب التوقف حيث يعتقد أن فيه إجمالاً، أو يكون المدرك مختلفاً فى الاستدلال به.. وكثيراً ما يترجم بأمر ظاهر، قليل الجدوى، لكنه إذا حققه المتأمل أجْدَى كقوله.. «باب قول الرجل ما صلينا» فإنه اشار به إلى الرد على من كره ذلك!! ومنه قوله: «باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة» وأشار بذلك إلى الرد على من كره إطلاق هذا اللفظ..

وكثيراً ما يترجم بأمر مختص ببعض الوقائع، لا يظهر فى بادىء الرأى كقوله: باب أستياك الإمام بحضره رعيته فإنه لما كان الاستياك قد يظن انه من أفعال المهنة، فلعل بعض الناس يتوهم ان إخفاءه أولى مراعاة للمروءة .. فلما وقع فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم استاك بحضرة الناس، دَلَّ أنه من باب التطييب لا من الباب الاخر، نبه على ذلك ابن دقيق العيد

وكثيراً ما يترجم بلفظ يومئ إلى معنى حديث لم يصح على شرطه، او يأتى بلفظ الحديث الذى لم يصح على شرطه صريحاً فى الترجمة، و يورد فى الباب مايؤدي معناه تارة بأمر ظاهر، وتارة بأمر مخفيّ من ذلك قوله باب الأمراء من قريش» .. وهذا لفظ حديث يروى عن على رضى الله عنه، وليس على شرط البخارى، وأورد فيه حديث «لايزال وال من قريش» وذكر مثلا آخر.

وربما اكتفى بلفظ الترجمة التى هى لفظ حديث لم يصح على شرطه، وأورد معها أثرا أو آية فكأنه يقول. لم يصح فى الباب شيء على شرطه .. وقد المحنا الى ذلك من قبل .. وقال إبن حجر .. «وللغفلة عن هذه المقاصد الدقيقة اعتقد من لم يمعن النظر أنه ترك الكتاب بلا تبييض، ودعا إبن حجر إلى تأمل عمل الامام البخاري.. وذكر أعمال من جمع من العلماء هذه التراجم ومن تكلموا عنها ومن لخصمها وزاد عليها (١٨١)

وقد حرصت لجلالة العمل وأنا أورد فيه نص ابن حجر تقريبا، حذار ما قد يكون فى اختصاره من حذف بعض المراد .. والله المستعان على كل خير.

٣٢ ـ أبواب الجامع وعدد أحاديثه

اشار ابن حجر إلى ما ذكر إبن الصلاح رحمهما الله أن عدد أحاديث الجامع سبعة آلاف حديث ومائتان وخمس وسبعون بالأحاديث المتكررة، وأنها باسقاط المكرر اربعةآلاف وذكر ان الشيخ محيي الدين ـ يحيى النووى ـ تبع إبن الصلاح فى ذلك فى مختصره، لكنه بعدها فى الشرح يقول (المسندة)..وذكر انه أخرج بقوله المسندة (الأحاديث المعلقة)، وما اورده فى التراجم والمتابعة و بيان الاختلاف بغير اسناد مرسل .. بخلاف إطلاق ابن الصلاح .. واشار ابن حجر إلى ما استهدفه الامام النووي من إيراد الأحاديث مفصلة لتكون كالفهرس

(١٨١) صحة أصول مذهب أهل المدينة ٢٤ ـ ٢٥

لأبواب الكتاب، وتكشف مظان الأحاديث للطلاب .. وانه ساقها كما قال ابن حجر .. من كتاب [جواب المتعنت] لأبى الفضل بن طاهر، بروايته من طريق عبد الله بن احمد بن حمويه السرخسى (١٨٢).

وذكر إبن عبد البر تحت عنوان «عدد أحاديث صحيح البخارى» عدد حديث كل باب ابتداء من «بدء الوحى» إلى آخر الكتاب ـــ بعد التوحيد كما قال النووى ثم اتبع كل باب بما عنده هو فى ذلك فمثلا فى بدء الوحى» قال .. بدء الوحى خمسة أحاديث .. ولكنه اتبعها بقوله «قلت» بل هى سبعة وكأنه ـــ أى النووى رحمه الله ـــ لم يعدَّ حديث الأعمال، ولم يعد حديث جابر فى أول ما نزل.. وذكر «إبن حجر بيان كونها سبعة أن اول ما فى الكتاب حديث عمر «الأعمال» الثانى «حديث عائشة فى سؤال الحارث بن هشام .. الثالث .. أول ما بدىء به من الوحى الرابع حديث جابر وهو يحدث عن فترة الوحى، وهو معطوف على اسناد حديث عائشة وهما حديثان مختلفان لا ريب فى ذلك..

ووافق إبن حجر الامام النووي رحمهما الله فيما وراء ذلك من احاديث الباب بعد أن أورد ما فيه من التعاليق والمتابعات وفاء بوعده أن يذكر ذلك ..

ثم انحى باللائمة على النقلة المقلدين لمن سبقهم بدون اعمال فكر أو تحرير للمقامات، وربما ساقوا ما قلدوا فيه على ذلك الأساس فى نظم تتعلق به الأفكار، ثم قال ابن حجر. «واذا انتهيت إلى آخره .. احصاء عدد أحاديث الجامع ـــ رجعت فعددت المعلقات والمتابعات فإن اسم الأحاديث تشملها، واطلاق التكرير يجمعها، وفى ضمن ذلك من الفوائد ما لا يخفى» (١٨٣).

وتابع رحمه الله إيراد كلام الامام النووى وما أحصاه هو فى ذلك .. حتى قال «فجميع أحاديثه بالمكرر سوى المعلقات والمتابعات على ما حررته واتقنته سبعة

(١٨٢) هدى الساري جـ١/ ٢٢ ـــ ٢٣

(١٨٣) هدى الساري جـ٢ ص ١٦٢ والنهمة بلوغ الهمة في الشيء كما في «النهاية» في غريب الحديث والأثر جـ ٥ ص١٣٨ ـــ المكتبة الاسلامية

آلاف وثلاثمائة وسبعة وتسعون حديثاً فقد زاد على ما ذكروه مائة حديث واثنان وعشرون حديثاً» وتبرأ من دعوى العصمة من الخطأ والسلامة من السهو، مؤكداً أنه جهد المُقِّل وقديماً قيل: «جهد المُقِّلِ غيرقليل» (١٨٤)

وذلك أدب نفسي استوجب القوم به من الله توفيقه وهداه، وكانوا به موضع القدوة لمن يمضون على طريقهم، و يودون التأسي بهم في خدمة الحقائق العلمية ومن سار على الدرب وصل «وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم»(١٨٥)

٣٣ ــ ابواب الجامع

بلغت أبواب الجامع ثلاثة آلاف وأربعمائه وخمسين باباً جمع فيها الإمام أبوعبد الله فروعاً كثيرة من العلمِ في الأحكام والفضائل والآداب والرقاق والتفسير والأخبار وما صحَّ عندهُ من حديث رسول الله وسنته وأيامه ..

وهو في هذه الأبواب ــ التي نيَّفَت على الآلاف الثلاثة قد وفَّى بوعده أن ألا يُخلي كل حديث من فائدة أثابه الله بذلك الحسنى وزيادة..

(١٨٤) المصدر السابق جــ١/ ٢٤
(١٨٥) هدى الساري جــ١ ص ٢٤ ــ ٢٥

الباب الثالث

الفصل الأول

كتاب العلم

٣٤ ــ عدد أحاديث كتاب العلم

كتاب العلم في «الجامع» ثالث كتبه بعد كيف كان بدء الوحى، والإيمان. ولم يخالف ابن حجر من سبقوه فى هذا، ولا فى عدد أحاديث «العلم» فهى عند الامام النووي خمسة وسبعون حديثاً (١٨٦)

وإن قال ابن حجر بعد «فيه من التعاليق عشرون، ومن المتابعات ثلا ثة» (١٨٧) والتناسب جلى بين كتب «الجامع» جميعاً، وابتداؤها بما بدأ به البخارى ضروري لان أحوال الرسول في بدء الوحي جانب من جوانب الوحى الذى هو مصدر الايمان، وما يُعبد الله او يُطاع أو تنتظم الدنيا والأخرى بالهوى ابدا، ولا يكون العلم نافعاً يُعتد به إلا وهو معصوم بالإيمان والامام البخارى يرى العلم قبل القول والعمل، وتلك حقيقة لا ارتياب فيها ورحم الله أبا الحسنين على بن أبى طالب فقد قال «يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه، والا ارتحل» ومن كلمات الامام الغزالى «العلم بغير عمل جنون» والعمل بغير علم كيف يكون؟ والإمام ابن عبد البرقد أشبع فى ذلك القول (١٨٨) ومما ذكره من كلام معاذ بن جبل رضى الله عنه «اعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا» (١٨٩)

---

(١٨٦) المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٧ ــ ٢٣٨
(١٨٧) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٣٨
(١٨٨) الكتاب جزء وصحيفة.
(١٨٩) البقرة/ ١٤٣

وقال الحسن «الذى يفوق الناس فى العلم جدير أن يفوقهم فى العمل» .. (١٩٠) وقد لخص ابن حجر كلام البلقينى رحمهما الله فى تناسب كتب «الجامع» وتناسقها كحبات عقد انتظمن فى سلك نذكر منها قوله ..

«بدأ البخارى بقوله «كيف بدءُ الوحى، ولم يقل كتاب الوحى، ولا كتاب بدء الوحى لأن بدء الوحى من بعض ما يشتمل عليه الوحى»

وقد عقب ابن حجر على قول البلقينى هذا بقوله «قلت» و يظهر لى أنه انما عرَّاه من (باب) لأن كل باب يأتى بعده ينقسم منه فهو أم الأبواب، فلا يكون قسيما له».

قال البلقيني «وقدمه لأنه منبع الخيرات، و به قامت الشرائع، وجاءت الرسالات، ومنه عرف الايمان والعلوم، وكان أوله إلى النبى صلى الله عليه وسلم بما يقتضى الايمان من القراءة والر بوبية وخلق الانسان، فذكر بعده كتب الايمان والعلوم، وكان الايمان أشرف العلوم، فعقبه بكتاب العلم، و بعد العلم يكون العمل، وافضل الأعمال البدنية الصلاة ولا يتوصل إليها إلا بالطهارة .. فقال «كتاب الطهارة ..» (١٩١)

ومضى ابن حجر ينقل كلام البلقينى في هذا السياق الطيب، مبرزاً ان البخاري عقب على بيان حق الله فى العمل بطاعته على أساس فى العلم والايمان ببيان حق عباد الله وحق الحياة عليهم بقوله «وهذه التراجم كلها معاملة العبد مع الخالق، و بعدها معاملة العبد مع الخَلْق» وقال: «كتاب ـــ البيوع..» (١٩٢)

٣٥ ــ أبواب كتاب العلم

يؤلف كتاب العلم «ثلا ثة وخمسون باباً، اكتفى الامام فى بعضها بالترجمة وإيراد آية من القرآن أو آيتين كما فى الباب الاول .. وكما فى الباب

(١٩٠) هدى الساري جـ ٢ ٢٣٨

(١٩١) هدى الساري جـ ٢ ـ ٢٤٠

(١٩٢) جامع بيان العلم وفضله جـ ٢ ص ٦ وما بعدها

السادس باب ما جاء في العلم وقوله تعالى «وقل رب زدني علماً» وأورد فيما سوى هذين البابين، أحاديث تختلف من حديث واحد اثنين وثلاثة وأربعة أحاديث (١٩٣) الى ستة أحاديث (١٩٤) وقد ذكر ابن حجر رحمه الله ما في هذه الاحاديث من التناسق، كما في الباب الثامن والثلاثين من الكتاب الذي اورد فيه ستة احاديث في «إثم من كذب على النبي صلى اله عليه وسلم» فقال رتب المصنف احاديث الباب ترتيبا حسنا لأنه بدأ بحديث علي وفيه مقصود الباب، ثم ثنى بحديث الزبير الدال على توقي الصحابة وتحرزهم من الكذب عليه، وثلث بحديث أنس الدال على ان اقتناعهم انما كان من الاكثار المفضي الى الخطأ، لا عن أصل الحديث، لأنهم مأمورون بالتبليغ، وختم بحديث ابي هريرة الذي فيه الاشارة الى استواء تحريم الكذب عليه، سواء كانت دعوى السماع منه في اليقظة او في المنام» (١٩٥)

البابان اللذان اكتفى فيهما بآيتين في الاول، وبآية هي الاية الثانية من الايتين المذكورتين لم يورد غيرها في الباب السادس هما في فضل العلماء والعلم انفردت الأولى ببيان فضل العلماء، وذهبت الثانية في البابين وهي «رب زدني علماً» بالدلالة على فضل العلم فإن الله لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم..

قال ابن حجر «فان قيل: «لِمَ لَمْ يورد المصنف في هذا الباب شيئاً من الحديث؟ واجاب بأنه ربما اكتفى بالآيتين في الباب الاول و بالاية في الباب السادس — اشارة الى ما قال صلوات الله عليه في تفسيرهما — او انه بيض لهما ليلحق بهما ما يناسبهما، او انه اورد فيهما بعد حديث ابن عمر الاتي بعد باب رفع العلم .. ولكن ابن حجر عقب على ذلك بقوله «والذي يظهر لي ان هذا — عدم

(١٩٣) المصدر السابق ص ٨

(١٩٤) المصدر السابق ص — ١٣

(١٩٥) هدى الساري جـ ٢ ص ٢٤٢ وما بعدها

ايـراد احاديث ـــ محله، حيث لايورد فيه آية او أثرا، اما اذا اورد اية فهو اشارة منه الـى مـاورد فـي تفسير تلك الآية، وأنه لم يثبت فيى شيء على شرطه، وأن مادلت عليه الآية كان في الباب».

«وإلـى ان الاثـر الوراد فى ذلك يقوى به طر يق المرفوع، وإن لم يصل فى القوة إلى شرطه» (١٩٦)

وقـد سبـق مـن هـذا بيان فى الكلام على تراجم الامام التى لم يقلد فيها غيره رحمه الله كما ادعى الكرمانى ورد عليه ابن حجر بقوله والذى ادعى الكرمانى يـقـتـضـى أنه لا مز ية للبخاري فى ذلك لانه مقلد لمشايخة ـــ ولا سند لهذا الكلام (١٩٧)

٣٦ ـــ فرائد استلخصها العلماء

لـقـد اسـتـخلص العلماء فرائد من «كتاب العلم» وفى كل كتاب من كتب «الجامع» مثلها واكثر، نوردها بين يدى ما اخترنا من احاديث كتاب العلم للشرح والدراسة ـــ فى نظرات سر يعة لابوابه.

ففى بـاب مـن سُـئـل عـلما وهـو مـشتغل فى حديثه فأتم الحديث ثم اجاب الـسـائـل، ونحـن عـلـى مـوعد ـــ ان شاء الله ـــ لشرحه.. نذكر ان ابن حجر رأى محصلـة الـتـنـبـيـه عـلـى ادب الـعـالم والمتعلم من حيث ترك العالم زجر السائل، مـكـتـفيا بالاعراض عنه حتى استوفى ماكان فيه، ثم رجع الى جوابه فرفق به وأما المتعلم فلأنه أدب بأن لايسأل العالم وهو مشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم، وفي الحديـث.. أخـذ الـدروس عـلـى السبق، وفيه العناية بجواب سؤال السائل ولو لم يـكـن الـسـؤال مـتـعينا ولا الجواب، وفيه مراجعة العالم اذا لم يفهم مايجب به حتى يـتـضح (١٩٨) وفيه الاشارة الى ان العلم سؤال وجواب، وقد يعين الله على مز يد مما يفيده الحديث عند شرحه الموعود..

(١٩٦) المصدر السابق ٢٤٣ ـــ ٢٤٦

(١٩٧) باب من برك على ركبتيه الى ص ١٩٨ جـ ١ الفتح

(١٩٨) باب اثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم ص ٢٠٩ ـــ الفتح

٣٧ ـ باب من رفع صوته بالعلم

والترجمة مطابقة تمام المطابقة للحديث ففيه «فنادى بأعلى صوته : وَ يْلٌ للاعقاب من النار، مرتين او ثلا ثا والعبارة دليل المصنف على جواز رفع الصوت بالعلم ـ ولكن ابن حجر رحمه الله رآى رفع الصوت حيث تدعو الحاجة اليه، لبعد او كثرة جمع، وألحق بذلك ما كان في موعظة واستظهر لذلك بحال رسول الله الذي أخرجه مسلم رحمه الله من رواية جابر «كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب وذكر الساعة اشتدّ غضبه وعلا صوته الحديث (١٩٩).

ولأحمد من حديث النعمان فى معناه وزاد حتى لو ان رجلا بالسوق لسمعه (٢٠٠) وفيه كذلك، مشروعية (اعادة الحديث ليفهم) ... و يضيف ابن حجر ههنا كلمة لابن رشيد تشهد بأن البخارى فى تبوبيه المتقن رمز الى انه ير يد ان يبلغ الغاية فى تدو ين هذا الكتاب، بأن يفرغ الوسع فى ترتيبه وكذلك فعل

٣٨ ـ باب قول المحدث: حدثنا أو أخبرنا أو أنبأنا عن بداية (١٩)

قال ابن رشيد «أشار بهذه الترجمة الى أن البخارى بني كتابه على المسندات المرو يات عن النبى صلى الله عليه وسلم.

وذكر ابن حجر، مايفهم أن هذه الألفاظ بمعنى واحد، كما هي عند إبن عُيينه و يز يد عبارة «وسمعت» في التسو ية بينها (٢٠١)

وأشار الى أحاديث ابن عباس، وأنس وأبى هر يرة في الباب في رواية النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه فقد وصلها في كتاب «التوحيد» واراد بذكرها ههنا التنبيه على العنعنه، وأن حكمها الوصل عند ثبوت اللقِيّ(٢٠٢)

---

(١٩٩) الفتح ص٢١٣ جـ١

(٢٠٠) المصدر السابق ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ الفتح

(٢٠١) الفتح ص١٥٦ ـ ١٥٧

(٢٠٢) فتح البادي جـ١ ص ١٥

وذكر ابن حجر أنه يستفاد من الحكم بصحة ماكان ذلك سبيله، صحة الاحتجاج بمراسيل الصحابة لأنه الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم و بين ربه فيما لم يكلمه به ـ ومثل ليلة الآسراء جبريل ـ وهو مقبول قطعا، والواسطة بين الصحابة و بين النبى صلى الله عليه وسلم، مقبول اتفاقا، وهو صحابي آخر، واحترس فقال: «وهذا في أحاديث الاحكام دون غيرها فإن بعض الصحابة ربما حملها عن بعض التابعين، مثل كعب الأحبار(٢٠٣) وأشار ابن حجر الى حديث ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من الشجر.. الحديث فأن قيل» فمن أين تظهر مناسبة ــ حديث ابن عمر للترجمة؟ ومحصل الترجمة التسوية بين صيغ الأداء الصريحة، وليس ذلك بظاهر في الحديث المذكور؟!

واجاب ان ذلك يستفاد من اختلاف الفاظ الحديث المذكور، و يظهر ذلك اذا اجتمعت طرقه، فان لفظ رواية عبد الله بن دينار المذكور في الباب «فحدثوني ماهي»؟ «فانبئوني وفي رواية مالم عند المصنف في باب الحياء في العلم» «حدثوني ماهي» وقال فيها فقالوا أخبرنا بها» فدلّ ذلك على أن التحديث ولاخبار والانباء عندهم سواء وهذا لاخلاف فيه عند أهل العلم بالنسبة الى اللغة.. ومن أصرح الادلة فيه قوله تعالى «يومئذ تحدث أخبارها» الزلزلة/٤.

وقوله تعالى «ولاينبئك مثل خبير» فاطر/١٤

واما بالنسبة الى الاصطلاح ففيه خلاف، وجمهرة كبيرة على قول أهل اللغة، منهم الزهري ومالك وابن عيينة ويحيى القطان، واكثر الحجاز يين والكوفيين والمغاربة ورجّحه ابن الحاجب في مختصره..

ونقل عن الحاكم أنه مذهب الائمة الأربعة، ورآى آخرون اطلاق ذلك حيث يقرأ الشيخ من لفظه وتغييره حيث يقرأ عليه «وهو مذهب اسحق بن راهو ية والنسائى وابن حبان، وابن منده وغيرهم.

---

(٢٠٣) صحيح مسلم ص ٤٩ جــ..

ومنهم من فرق بين الصيغ بحسب اقتران التحمل، فيخصون التحديث بما يلفظ به الشيخ، والاخبار بما يقرأ عليه، وهذا مذهب ابن جريج والاوزاعي والشافعي، وابن وهب وجمهور أهل المشرق..

ثم احدث اتباعهم تفصيلا آخر، فمن سمع وحده من لفظ الشيخ أفرد فقال «حدثني» ومن سمع على غيره، جمع، ومن قرأ بنفسه على الشيخ أفرد فقال «أخبرني ومن سمع بقراءة غيره جمع، وكذلك خصصوا الانباء بالاجازة التي يشافه بها الشيخ مَن يُجيزه..

وكل هذا مستحسن وليس بواجب عندهم، وانما أراد التميز بين احوال التحمل وظن بعضهم ان ذلك على سبيل الوجوب فتكلفوا في الاحتجاج له وعليه بما لاطائل تحته قال نعم يحتاج المتأخرون إلى مراعاة الاصطلاح المذكور لئلا يختلط، لأنه صار حقيقة عرفية عندهم، فمَنْ تجوَّز عنها احتاج الى الإتيان بقرينة تدل على مراده والا فلا يؤمن اختلاط المسموع على غير حقيقة بعد تقرير الاصطلاح، فيحمل مايرد من الفاظ المتقدمين على محل واحد بخلاف المتأخرين (٢٠٤)

واضاف ابن حجر فوائد أخرى منها امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفي، وبيانه لهم ان لم يفهموه، فذلك كما ذكر، ليس من الأغلوطات التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرج ابو داود من حديث معاوية رضى الله عنها (٢٠٥) مستظهرا يقول الاوزاعي (٢٠٦) «ان الأغلوطات هي صعاب المسائل» فإن ذلك محمول على مالا نفع فيه، أو ماخرج على سبيل تعنيت المسئول أو تعجيزه، وفي الحديث: الحضُّ على الفهم في العلم واستحباب الحياء مالم يؤد الى تفويت مصلحة ولهذا تمنى عمر أن كان ابنه لم يسكت، وفيه دليل؟ على بركة النخلة، وماتثمرهُ، وعلى جواز بيع الجمار، لأن ماجاز أكله جاز بيعه، وأكد أبن بطال أن ذلك من المجمع عليه، وأجيب بان ذلك لايمنع من التنبيه عليه، لأنه

(٢٠٤) المسند

(٢٠٥) الفتح ص١٥٢ جـ١

(٢٠٦) ص١٥٣ الفتح

ورد بعد حديث النهي عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها.. وفيه دليل على جواز تجمير النخل، وقد بوب البخاري عليه في باب الاطعمة لئلا يظن ان ذلك مِنْ اضاعة المال..

واورد تفسير قوله تعالى«.. كلمة طيبة كشجرة طيبة..» ابراهيم/٢٤ — ٢٥

اشارة الى ان الشجرة المضروبة مثلا هي النخلة (٢٠٧)، وذكر كلاما طيبا عن شبهها والمسلم.. وفي الحديث ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة، وفيه أن تشبيه الشيء بالشيء لايلزم أن يكون نظيره من كل الوجوه، فإن المؤمن لا يماثله شيء من الجمادات ولا يعادله، وفيه توتير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وانه لايبادره بما فهمه وان ظن أن الصواب، وفيه أن العالم قد يخفى عليه ما أدركه من هو دونه.. الى ماوراءها من الآداب التى نود ان تقدم عليها فنون الحديث.

٣٩ ــ باب طرح الامام المسألة على اصحابه ليختبر ماعندهم من العلم

اورد فيه حديث ابن عمر، وبين أنه ليس تكرارا من البخاري، لايراده له من طريق آخر، وهي فائدة جليلة حقا تدفع اعتراض من يدعى التكرار على الامام ويرد دعوى الكرماني بتقليد البخاري في تكريره لشيوخه، وذلك يدفعه ماطبق الآفاق من جودة البخاري وحسن تصرفه في تراجم به (٢٠٨)

٤٠ ــ باب القراءة والعرض .. ولم نتناول الكلام في الباب قبله ولفاء ماتقدمه به والحمد لله.

قال ابن حجر: غاير بين القراءة والعرض بالعطف بالواو، لما بينهما من العموم والخصوص وبين ذلك قائلا «لأن الطالب اذا قرأ كان أعم من العرض وغيره، ولايقع العرض الا بالقراءة، لأن العرض عبارة بما يعرض به الطالب أصل

(٢٠٧) الفتح/ ١٥٣

(٢٠٨) المصدر السابق ١٥٣ ــ ١٥٤

شـيـخه معه أو مع غيره بحضرته فهو أخص من القراءة.. وتوسع فيه بعضهم فأطلعة على ماإذا أحضر الأصل لشيخه فنظر وعرف صحته، وأذن له أن يرو يه عنه من غير ان يحدث به او يقرأه الطالب عليه.

قـال ابـن حـجـر.. والحـق أن هذا يسمَى عرض المناولة بالتقييد لا الاطلاق، وقد كـان بـعض السلف لا يعتدون إلا بما سمعوه من الفاظ المشايخ دون مايقرأ عليهم، ولهذا بوب البـخـاري عـلـى جوازه واورد فيه قول الحسن « لابأس بالقراءة على العـالم» ثم أسـنـده الـيـه بـعد أن علقه وعاد يثبت أن السماع لا خلاف فيه، وأن الـقـراءة جـائـزة(٢٠٩)و بـعـد عـرض طـو يـل قال «و بذا انقرض الخلاف في ان الـقـراءة على الشيخ لا تجزىء، واورد قول الخطيب البغدادي عن ابراهيم بن سعد لأهـل الـعـراق «لا تَـدَعُـون تنطعكم يا اهل العراق، العرض مثل السماع» وكان أهـل الـمـديـنـة يرون أن القراءة على الشيخ ارفع من السماع من لفظه «وتعللوا بأن الـشـيـخ لـو سـهـا لم يتهيأ للطالب الرد عليه» وقرر ابن حجر «ان السماع من لفظ الـشيخ ارفع رتبة من القراءة عليه مالم يعرض عارض يصيّر القراءة عليه أولى، ومن ثم كـان الـسـمـاع من لفظه في الاملاء ارفع الدرجات لما يلزم منه من تحرز الشيخ والطالب (٢١٠)

٤١ ــ خبر الواحد

فـي حـديث ضمام في الباب العمل بخبر واحد ولا يقدح فيه مجيىء ضمام مـتـثـبـتـا، لأنـه قـصـد الـلـقـاء والـمـشـافـهة، وكان ابن حجر قد قال في ص ١٦١ «واسـتـنـبـط مـنـه الحـاكـم ــ من حديث ضمام ــ اصل طلب علو الاسناد، لانه سمع ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهة»

وقـد رجـع ضـمـام الى قومه وحده فصدقوه وآمنوا كما وقع في حديث ابن عباس.. وذلك كاف في الدلالة على العمل بخبر الواحد..

(٢٠٩) ص ٢٨٨ جـ ٢ سنة أبي داود الطبعة الاولى للحلبي

(٢١٠) شيخ الاسلام أبو عمر (٨٨ ــ ١٥٧هـ)

٤٢ ــ باب مايذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم الى البلدان..

هـذا وجـه من وجوه التحمل ــ وهو المناولة بعد تقر ير السماع والعرض، وصـورتهـا أن يـعطى الشيخُ الطالب الكتاب، فيقول له: هذا سماعي من فلان، أو هذا تصنيفي فاروه عني»

قـال: والمكـاتبة من وجوه التحمل، وهي أن يكتب الشيخ حديثه بخطه، أو يأذن لمن يثق به بكتبه و يرسله بعد تحر يره الى الطالب، و يأذن له في روايته عنه، وقد سوّى المصنف بينهما و بين المناولة ورجح قوم المناولة عليها لحصول المشافهة فيها بالإذن دون المكاتبة.

ومن قول أنس «نسخ عثمان المصاحف، اخذوا تسو يغ الرواية بالمكاتبة، فـأن عـثـمـان امرهـم بـالاعـتـمـاد عـلى مافي تلك المصاحف، ومخالفة ماعداها، والمستـفـاد مـن بعثه المصاحف الى الأمصار انما هو اسناد صوره المكتوب فيها الى عثمان، لا أصل ثبوت القرآن، فانه متواتر عندهم ( ) وفي حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه رجلا وأمره أن يدفعه الى عظيم البحر ين» وجه الدلالة على المكاتبة ظاهر، ويمكن أن يستدل به على المناولة، من حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم ناول الكتاب لرسوله، وأمره أن يُخبِر عَظيم البحر ين بأن هذا كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وان لم يكن سمعَ مافيه ولا قرأه.

«وفي حديث أنس» فقيل له ــ للنبى صلى الله عليه وسلم ــ [انهم لايقرأون كتابا الا مختوما] تعرف فائدة ايراده هذا الحديث في هذا الباب وهى انه ينبه على أن شرط العمل بالمكاتبة ان يكون الكتاب مختوما ليحصل الأمن من توهم تغييره، لكن قد يستغنى عن ختمه اذا كان الحامل عدلا مؤتمناً

قـال ابـن عـبد البَّر رحمه الله «لم يذكر المصنف من أقسام التحمل، الاجازة المجردة عـن المناولة أو المكاتبة ولا الوجادة، ولا الأعلام المجردات عن الاجازة، وكأنه لا يرى شيئا منها»

قال «وقد ادعى ابن منده أن كل مايقول البخاري فيه. قال لى:فهي اجازة ورد ابن حجر هذه الدعوى بدليل أنه استقرى كثيرا من المواضع التي يقول فيها البخاري قال لى، فوجده في غير الجامع يقول فيها.. حدثنا.. والبخاري لا يستجيز في الاجازة اطلاق التحديث، فدل على انها عنده من المسموع، لكن سبب استعماله. لهذه الصيغة ان يفرق بين مايبلغ شرطه ومالا يبلغ (٢١١)

٤٣ ــ باب من قعد حيث ينتهى به المجلس ومن رآى فرجة في الحلقة فجلس فيها

قال ابن حجر مناسبة هذا الكتاب للعلم من جهة أن المراد بالمجلس و بالحلقة، حلقة العلم ومجلس العلم، فيدخل في أدب الطالب.. والتراجم الماضية كلها تتعلق بصفات العالم (٢١٢) ومطابقة الترجمة للحديث جلية، وفي الحديث أز يد منها، وهو خبر الذي أعرض وتولى.. والثلا ثة رجال يقول فيهم ابن حجر ــ رحمه الله ــ «ولم اقف في شيء من طرق هذا الحديث على تسمية واحد من الثلا ثة المذكور ين» (٢١٣) وحسب الناس منهم بيان أحوالهم ومآلهم!!

باب قول النبى صلى الله عليه وسلم رب مُبَلَّغ أوعى من سامع

أورد الامام البخاري معنى هذا الحديث المعلق في هذا الباب، واما لفظه فموصول عنده في باب الخطبة بمنى من «كتاب الحج» وذكر ابن حجر الحديث وفي نهاية هذا اللفظ الذي في الترجمة و يظهر من طرق الحديث في الباب وفي الحج وفي الفتن ان بعضهم رواه بطوله لقربه كأبي بكرة لأنه كان ممسكا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بينما رواه ابن عباس مختصرا.. أو أن الرسول كرر الخطبة، فان صح ذلك ففي غير يوم النحر، لاحتياج ذلك لدليل كما قال ابن حجر ــ وفي الحديث جواز التحمل قبل كمال الأهلية، وأن الفهم ليس شرطا في الأداء وأنه قد يأتي في الآخر من المتقدم من يكون أفهم ممن تقدمه لكن بقلة..

---

(٢١١) الفتح ص١٤٦ طبعة السلفية

(٢١٢) ص١٤٧ ــ ١٤٨ «الفتح» السلفية

(٢١٣) ١٤٩ ــ ١٥٠ السلفية وفيها تحقيق كلمة الحسن من سياق الخطيب عن احمد بن حنبل رحمهم الله.

واستنبط ابن المنير من تعليل كون المتأخر أرجح نظرا من المتقدم، أن تفسير الراوى أرجح من تفسير غيره ـ (٢١٤)

٤٤ ـ باب العلم قبل القول والعمل..

أسلفت لك قول على رضوان الله عليه وقول الغازلي كذلك فيا لعلم والعمل وأن تقدم العلم ضروري على القول والعمل كما ترجم الامام البخاري ههنا وابن المنير يدعم ذلك فيقول «أراد به أي بهذا الذي ترجم به و بتقديم العلم ـ أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران الا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل»

قال ابن حجر «فنبه المصنف لذلك حتى لايسبق الى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع الا بالعمل» تهوين أمر العلم، والتساهل في طلبه،

«ولقد بدأ الله بالعلم في قوله «فأعلم أنه لا آله الا الله» ثم ثنى بالعمل في قوله «واستغفر لذنبك» وفي الآية دليل شرف العلم كما قال سفيان بن عيينة، «ألم تسمع أن الله بدأ به فقال «اعلم» كما فهم من كلام أبي نعيم في الحلية.

وقد ذكر المصنف مع الآية «وأن العلماء ورثة الأنبياء الى قوله «بحظ وافر» وذكر من حسنوا هذا الحديث ومن ضعفهْ ومستندهم في التضعيف، ثم قال ابن حجر ولكن له شواهد يتقوى بها.. وقال

ولم يفصح المصنف بكونه حديثا، فلهذا لايُعَدّ في تعاليقه، لكن ايراده له في الترجمة يُشْعِرُ بأن له أصلا، وشاهده في القرآن «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» (٢١٥)

وذكر ابن حجر مناسبة ذلك للترجمة «.. من جهة أن الوارث قائم مقام المورّث، فله حكمه فيما قام فه (٢١٦)

---

(٢١٤) المصدر السابق ص ١٥٨ ط الحلبي

(٢١٥) ص ١٦٣ ـ ط الحلبي

(٢١٦) ص ١٦٥ ط الحلبي

قال ابن حجر «اقتصر المصنف في هذا الباب على ماأورده من غير أن يورد فيه حديثا موصولا على شرطه» فإما أن يكون بيَّن له ليورد فيه مايثبت على شرطه.. أو يكون تعمد ذلك اكتفاء بما ذكر» اية (٢١٧)

وقد أسلفنا أن فيما قيل في تفسير الآية أو الآيات غُنية، فكيف وقد قفَّى عليها بأطراف من أحاديث ناقش فيها ابن حجر من ضعفوها واورد شواهد تقويها»

٤٥ ــ باب ماكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولهم «الترجمة»

استعمل في الترجمة معنى الحديثين اللذين ذكرهما، وذكر مناسبة الباب لما قبله من جهة ماحكاه أخيرا.. من تفسير الربَّاني، ولعله قصد أن الربَّاني لا يقال الا لمن يكون عالماً معلماً كما في كلمة ابن الأعرابي،

وفي الحديث «تعاهدهم بالموعظة» كي يعلموا و يعلموا و يُرْشدوا..

وفي الذي قبله تشديد أبي ذر في أمر التبليغ المناسب لما قبله من الامر بالتبليغ» وأضاف ابن حجر جديدا وهو قوله «والغالب في أبواب هذا الكتاب ــ العلم ــ لمن امعن النظر فيه أنه لايخلو من ذلك» أي تناسب الأبواب وترابطها.. وقد نفى بالدليل توهم التدليس عن الأعمش في رواية الحديث الأول، وذكر ان اجتماع الروايتين في الباب يشير الى أن ايراد الثانية وإن كانت نازلة فإنها تركت للرواية الأولى، أو أنه ينبه بايرادها على عنايته بالرواية، من حيث أنه سمعه نازلا، فلم يقنع حتى سمعه عاليا (٢١٨)

٤٦ ــ باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة

هذا الباب بحديثه بسبيل من سابقه في التخوّل، بزيادة «كان عبد الله يذكّر الناس في كل يوم خميس» ورواية «يوما معلوما» كأنه الخميس المأخوذ من

---

(٢١٧) ص ١٦٥ ط الحلبي

(٢١٨) ص ١٦٧ ط الحلبي

صنيع ابن مسعود أو استنباط عبد الله ذلك الحديث الذي أوْرده.. وقال ابن حجر وحديث ابن مسعود هذا كل رواته كوفيون، وحديث انس في الباب قبله كل اسناده بصر يون.. (٢١٩)

٤٧ ــ باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين..

الترجمة تتعلق بأحاديث هذا الباب من جهة اثبات الخير لمن تفقه في دين الله، وأن ذلك لا يكون بالاكتساب فقط، بل لمن يفتح الله عليه به «وأكد ابن حجر أن هذا الجنس لايزال موجودا في الناس حتى تقوم الساعة، وروى جزم البخاري أن المراد بهم أهلُ العلم بالآثار «وكلمة الامام احمد «ان لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»؟

وقد يُعين الله على ايراد مز يد من القول في شرح يأتي ان شاء الله لهذا الحديث

٤٨ ــ باب الفهم في العلم

وهو يعنى فضل الفهم في كل علم نافع، ومناسبة الحديث للترجمة أن ابن عمر لما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم المسألة عند احضار الجمار اليه، فهم أن المسئول عنه، النخلة.. فالفهم فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترب به من قول أو فعل.

وذكر حديث الرسول الذي فطن أبو بكر فيه وفهم أن النبى هو المخيَّر، وأن إيثار الرسول الرفيق الأعلى قد حان حينه.

وحديث الباب يبرز ــ كما قال ابن حجر ــ ماكان بعض الصحابة عليه من توقى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عند الحاجة خشية الز يادة والنقصان، وهذه كانت طر يقة عمر وابن عمر وما كثرت احاديث ابن عمر مع ذلك الالكثرة من كان يسأله و يستفتيه لمز يد ورع.. (٢٢٠)

---

(٢١٩) ص ١٦٩ ط الحلبي
(٢٢٠) الآية ٣٢ ــ فاطر

٤٩ ــ باب الاغتباط في العلم والحكمة.. وقال عمر، تفقهوا قبل ان تسودوا

أشار ابن حجر الى مافي الترجمة من شبه بين ترجمة «بالموعظة والعلم» وقال لكن هذا عكس ذاك، وأكاد ألمس اشتراك العلم في الترجمتين، وأن الموعظة.. لا تعمل عملها الا من وجوه الحكمة فيها، كما أن الحكمة لا يُستاهل اسمها حتى تكون واعظة هادية و يبقى بعد ذلك مايقال في العلم والحكمة من فروق العموم والخصوص أو الترادف حيث يكون عطف أحدهما على الآخر عطف تفسير.

وأورد مخرج قول عمر ومعناه، وقال وإسناده صحيح وأن البخاري عقب عليه بقوله «و بعد ان تُسوَّدوا و بيَّن مراد عمر فيه

وساق ابن حجر قول ابن المنير في موافقة الترجمة لقول عمر رضى الله عنه وأنها مطابقة له، فانه جعل السيادة من ثمرات العلم، وأوصى الطالب باغتنام الزيادة قبل بلوغ درجة السيادة وذلك يحقق استحقاق العلم بأن يغبط صاحبه فإنه سبب لسيادته.

وذكر ابن حجر مابداله من مراد البخاري « ان الرياسة وان كانت مما يغبط بها صاحبها في العادة لكن الحديث دل على أن الغبطه لا تكون الا بأحد أمرين: العلم والجود.... ولا يكون الجود محمودا الا اذا كان بعلم، وتكلم عن الغبطه بعامة والحسد كذلك وعنهما في الحديث»(٢٢١)

٥٠ ــ باب ماذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر الى الخضر ــ وقوله تعالى هل اتبعك....

أشار ابن حجر الى التناسب بين الباب والذي سبقه، فان الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن مايغتبط، تحتمل المشقة فيه، ولان موسى عليه السلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى، من طلب العلم، وركوب البر والبحر لأجله.. قال

---

(٢٢١) الفتح جــ١ ص١٦٩.. ط الحلبي

«وظاهر التبويب ان موسى ركب البحر لما توجه الى الخضر، وفيه نظر، لأن الذي ثبت عند المصنف وغيره أنه خرج في البر بدليل ماسيأتي بعد بلفظ «فخرجا يمشيان» وجوز الظاهر بتقدير «في ساحل البحر(٢٢٢)

قال ابن حجر « لعله قوى عنده» أحد الاحتمالين في قوله «فكان يتبع أثر الحوت في البحر فالظرف يحتمل ان يكون لموسى، ويحتمل ان يكون للحوت، واستظهر للأول بما جاء عن أبى العالية وغيره مما يفهم من نصه أن توصل موسى الى جزيرة فيها الخضر لا يقع الا بسلوك البحر غالبا، وحكمة غالباً في عصر هؤلاء فتح رباني فهي احتراس يومئذ لما عرف من بعدُ من الوصول الى الجزيرة التي هى يابسة في ماء بوسائل اخرى غير الماء..

ورواية أخرى في الاحتمال الأول في رواية عنده من طريق الربيع بن أنس قال «فانجاب الماء عن مسلك الحوت فصار طاقة مفتوحة فدخلها موسى على اثر الحوت حتى انتهى الى الخضر، فهذا يوضح أنه ركب البحر اليه ــ وهذان الأثران الموقوفان رجالهما ثقات (٢٢٣)

٥١ ــ باب قول النبى صلى الله عليه وسلم «اللهم علمه الحكمة»

ابرز ابن حجر من استعمال لفظ الحديث ترجمة تمسك البخاري رحمه الله بأن ذلك لا يختص جوازه بإبن عباس، والضمير على هذا لغير مذكور، ويحتمل ان يكون لابن عباس نفسه لتقدم ذكره في الحديث قبله اشارة الى أن الذي وقع لابن عباس من غلبته الحبر بن قيس انما كان بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم. (٢٢٤)

٥٢ ــ متى يصح سماع الصغير؟!

هذه الترجمة بأسلوب الاستفهام كما تقدم في بيان أقسامها، قال ابن حجر ومقصود الباب الدلالة على أن البلوغ ليس شرطا في التحمل، ونقل قول

---

(٢٢٢) ص ١٧١ ــ ١٧٢ طبعة الحلبي

(٢٢٣) الفتح ص ١٧٣ ط الحلبي

(٢٢٤) ص ١٧٤ طبعة الحلبي

الكرماني ان معنى الصحة ــ هنا أي في الترجمة.. جواز قبول مسموعه قال ابن حجر «وهذا تفسير لثمرة الصحبة لا لنفس الصحة وذكر رحمه الله ما انتهى إليه الخطيب «الكفاية» من كلام عبد الله بن احمد وغيره فقال «قال يحيى:

«اقل سن التحمل خمس عشرة سنة لكون ابن عمر رد يوم أحد اذ لم يبلغها» فبلغ ذلك احمد فقال «بل اذا عقل مايسمع وانما قصة أبن عمر في القتال ثم أورد الخطيب أشياء مما حفظها جمع من الصحابة ومن بعدهم في الصغر، وحدثوا بها بعد ذلك وقبلت عنهم» قال وهذا هو المعتمد.. وذكر أقوالا ومواقف تؤيد المعتمد، وتؤكد أن من ردهم الرسول غير ابن عمر في القتال، كان لما لابد ان يُلحظ في المقاتل من قوة و بصر بالحرب وذلك فظنته البلوغ، اما السماع فيقصد به الفهم وفظنته التميز، وقد احتج الأوزاعي لهذا بحديث «مروهم بالصلاة لسبع» (٢٢٥)

وفي الحديث ما ترجم له أن التحمل لا يشترط فيه كمال الأهلية، وإنما يشترط عند الأداء و يلتحق بالصبي في ذلك العبد والفاسق والكافر(٢٢٦)

وقامت حكاية ابن عباس لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره مقام حكاية قوله، اذ لا فرق بين الأمور الثلاثة في شرائط الاداء.

وساق ايراد أن التقييد بالصبي والصغير في الترجمة لا يطابق حديث ابن عباس وجواب الكرماني: ان المراد بالصغير غير البالغ وذكر الصبي معه من باب التوضيح (٢٢٧)

ومحمود بن الربيع في الحديث كان ابن خمس سنين كما قال المصنف أو اربع كما ذكر ابوعمر في الاستيعاب (٢٢٨)

وعرض ابن حجر اعتراض المهلب على البخارى لكونه لم يذكر هنا حديث ابن الزبير فى رؤيته والده يوم بنى قريظه ومراجعته له فى ذلك، ففيه

---

(٢٢٥) الفتح ط ص ١٧٤ ــ ١٧٥ ــ الحلبي

(٢٢٦) ١٧٥ ــ ١٧٦ ــ الفتح ــ الحلبي

(٢٢٧) ١٧٧ الفتح ــ الحلبى

(٢٢٨) الفتح ــ ١٧٧ ــ ١٧٨ ــ الحلبي

السماع منه، وكان سنه إذ ذاك ثلاث سنين أو أربعا فهو اصغر من محمود، قال — وليس فى قصة محمود سماعه فكان ذكر حديث ابن الزبير اولى لهذين المعنيين .. واجاب ابن المنير. بأن البخارى انما أراد نقل السنن النبوية لا الأحوال الوجودية، ومحمود نقل سنة مقصودة فى كون النبى صلى الله عليه وسلم مج مجة في وجهه، بل فى مجرد رؤيته إياه فائدة شرعية تُثبت كونه صحابياً، اما قصة ابن الزبير فليس فيها نقل سنة من السنن النبوية حتى تدخل فى هذا الباب» (٢٢٩) وقال ابن حجر وهو جواب مسدَّد .. وهذه فوائد أوردها ابن حجر فى هذا الحديث .. جواز احضار الصبيان مجالس الحديث، وزيارة الامام لأصحابه فى دورهم ومداعبة صبيانهم، واستدل به بعضهم على تسميع من يكون ابن خمس وما كان دونها، يكتب له حضور»

قال ابن حجر «وليس فى الحديث ولا تبويب البخاري ما يدل عليه، بل الذى ينبغى فى ذلك اعتبار الفهم، فمن فهم الخطاب سمع وإن كان دون ابن خمس، وإلا فلا»

قال ابن رشيد الظاهر أنهم أرادوا بتحديد الجنس أنها مظنة ذلك، الا أن بلوغها شرط لابد من تحققه «قال ابن حجر» وقريب فيه ضبط الفقهاء سن التميز بست أو سبع والمرجح أنها مظنه لا تحديد، وذكر ابن حجر أن المردّ فى ذلك كله إلى الفهم، وهو يختلف من شخص الى آخر وأورد كلام الخطيب عن ابى عاصم أنه ذهب بابنه وهو ابن ثلاث سنين الى ابن جريح فحدثه (٢٣٠)

٥٣ ــ باب الخروج فى طلب العلم

مطابقة الترجمة للحديث تامة، فقد سافر جابر رضوان الله عليه الى عبد الله ابن أنيس فى الشام كما فى الأدب المقرد للمصنف فى حديث واحد وأخرجه

(٢٢٩) ١٧٩ الحلبي
(٢٣٠) الفتح/ ١٨٠ الحلبي

احمد وأبو يعلى فى مسنديهما عن طريق عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول وذكر حديث رحلته إلى إبن أنيس فى الشام .. وله طريق أخرى اخرجها الطبرانى فى مسند الشاميين، وتمام فى فوائده من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المذكور عن جابر وكانت رحلته إلى مصر فى طلب حديث القصاص .. وابرز ابن حجر التزام البخارى لقاعدته المشهورة «أن البخارى حيث يعلق بصيغة الجزم يكون صحيحا، وحيث يعلق بصيغة التمريض يكون فيه علة» وقد علّقه بالجزم هنا .. ثم أخرج طرفا من متنه فى كتاب «التوحيد» بصيغة التمريض فقال و يذكر عن جابر عن عبد الله ابن أنيس .. الحديث. قال ابن حجر «ودعوى نقض البخارى لقاعدته مردودة، والقاعدة بحمد الله غير منتقضه، ونظر البخارى أقوى من أن يعترض عليه بمثل هذا فإنه حيث ذكر الارتحال فقد جزم به لأن الاسناد حسن، فقد اعتضد، وحيث ذكر طرفا من المتن لم يجزم به لأن لفظ الصوت مما يتوقف فى إطلاق نسبته إلى الرب .. حتى قال «ومن هنا يظهر شفوف علمه ودقة نظره وحسن تصرفه رحمه الله .. وابن حجر يرى حديث جابر دليلا على طلب علو الاسناد، لأنه بلغه الحديث عن عبد الله بن أنيس فلم يقنعه حتى رحل إليه فأخذه عنه بلا واسطه (٢٣١)

٥٤ ــ باب فضل من علم وعلم

الترجمة نص فى الحديث وليس وراء ذلك تطابق يبحث عنه، ومحمد بن العلاء هو ابو كريب مشهور بكنيته اكثر من اسمه، وكذا شيخه أبو أسامة، وأبو بردة هو ابن الجاموس الأشعرى رضى الله عنه، وأبو بردة جد ابى أسامة .. وقد قال فى السياق عن أبى برده عن ابى موسى ولم يقل عن أبيه تفننا، والإسناد كلهم كوفيون (٢٣٢) وفى الحديث اقسام الناس أمام الرسالة.

---

(٢٣١) ١٨١ الحلبي

(٢٣٢) الفتح/ ١٨١ ــ الحلبي

٥٥ ـ باب رفع العلم وظهور الجهل

الترجمة واردة بالنص و بالفحوى فى حديثى الباب، ومقصود المصنف الحث على تعلم العلم فإنه لا يرفع إلا بقبض العلماء كما هو نص فى أحاديث ذوات طرق، وربيعة هو الفقيه المدنى ابن أبى عبد الرحمن، قيل له ربيعة الرأى لاشتغاله بالاجتهاد بكثرة، ومراد ربيعة بما قال .. أن من كان فيه فهم وقابلية للعلم لا ينبغى له أن يهمل نفسه فيترك الاشتغال لئلا يؤدى ذلك إلى رفع القلم»

وذكر ابن حجر عدة مرادات لربيعة «آثر منها» تعظيم العلم وتوقيره، فلا يهين نفسه بأن يجعله عرضا للدنيا .. قال: وهذا معنى حسن .. لكن اللائق بتبويب الباب ما تقدم قال «وقد وصل اثر ربيعة المذكور الخطيب فى الجامع، والبيهقى فى المدخل من طريق عبد العزيز الأويسي، عن مالك، عن ربيعة (٢٣٣) ورجال هذين الاسنادين كلهم بصريون، وقد كان أنس آخر من مات من الصحابة فى البصرة، وكان تحديثه بهذا الحديث فى آخر عمره، ولم يكن هذا المتن فى مرويّ احد من الصحابة ممن ثبت سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون المراد بقلة العلم» أول العلامة، و برفعه آخرها إذ اطلقت القلة واريد بها العدم، كما يطلق العدم و يراد به القلة . قال ابن حجر .. وهو الاليق لاتحاد المخرج والنص على كثرة النساء فى إشراط الساعة من الحديث، أورد فيه ابن حجر معانى وناقشها وساق العلة من حديث أبى موسى فى الزكاة وفيه «من قلة الرجال وكثرة النساء» .. وهذه العبارة نص لا بيان علة.

قال ابن حجر .. والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر الله فى آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور و يكثر من يولد من الإناث .. وذلك تدبيره وتقديره وهو العزيز العليم. قال «وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم..» (٢٣٤) فإن ما فطر الله عليه النساء من الحياء من

(٢٣٣) الفتح/ ١٨١ ــ ١٨٢ الحلبي

(٢٣٤) الفتح جـ١ص ١٨٢

جهة، وما هو من اخلاق الذكور فى الزمن الاخير من انخلاع من ربقة الاسلام ..
وإن اعان على ذلك بعض من لا يتقين الله بترك التزام التصون والاحتشام — من
دواعى ظهور الجهل وندرة العلم، والعلم النافع بخاصة وهو العلم الشرعى .. فمتى
يبصرن ونبصر هدايات الاسلام؟ وتوجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام؟

ومن الضرورى تأمل قوله صلى الله عليه وسلم «حتى يكون لخمسين
امرأة القيم الواحد» فإن ذلك يسكت هدير الباطل وضجيج الاثم الذى يعلو على
حقائق الفطرة، وعلى هدايات الله للزوجين الذكر والأنثى، فلابد من قوامة أبرزها
كتاب الله فى سورة النساء «الرجال قوامون على النساء» لا اعتسافاً ولكن
للأسباب الإلهية التى اجملتها الآية، ومن الناس من يمارى فى أولاها، و يقول فى
الأخرى ان شقائق الرجال يكتسبن اليوم و ينفقن، و ياو يل الحياة من أعمال
تكسب منها بعض بنات حواء و ينفقن!!

ومرة أخرى، فلم تعد كثرة النساء تخفى على أحد، فأنعم النظر فيما حولك
ومن حولك تُلف الحقيقة الدالة، وان جادلك فيها من درسوا الاحصاء على قواعد
دول الكفر ومناهجها ونظراتها المادية المعروفة.

«ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد»
غافر/ ٤ تقول جريدة الاهرام فى ١٩٧٤/١/٩ م تحت عنوان «نساء العالم فى
زيادة مستمرة !! «تشير الاحصائيات الدولية (!!!) إلى أن النساء فى العالم
يزددن بدرجة ملحوظة على عدد الرجال، وان هذه الزيادة مستمرة..

ففى أمريكا أصبح عدد النساء يفوق عدد الرجال بنسبة ٣٠٪ وفى
السويد بنسبة ٢٤٪ و يوجد فى بريطانيا الآن ١٥ مليون أنثى مقابل ١١ مليون
رجلا وفى الاتحاد السوفيتى تبلغ الزيادة فى تعداد الإناث فى سن الزواج عن
عدد الرجال فى نفس السن ٩ ملايين فتاة»!!

انقل هذا من قصاصاتي والجرائد المصرية تعلن هذا الأسبوع أن الاحصاء
الأخير المعلن فى ابريل ١٩٧٧ قد اثبت زيادة الإناث عن الذكور مليون أنثى!!
فأين فهم القوم .. ياقوم؟!

ولقد استطردت في مقام ينبغي أن يخلص لبيان فنون البخارى فى كتاب العلم من صحيحه فمعذرة .

ولأورد نظرة ابن حجر في الأمور الخمسة فى رواية أنس لأهميتها .. قال «وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التى يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهى الدين، لأن رفع العلم يخل به، والعقل لأن شرب الخمر يخل به والنسب لأن الزنايخل به، والنفس والمال لأن كثرة الفتن تخل بهما..» قال الكرمانى وانما كان اختلال هذه الأمور مؤذنا بخراب العالم، لأن الخلق لا يتركون هملا، ولا نبيَّ بعد نبينا صلوات الله عليه وسلامه عليهم، فيتعين ذلك وقد اشار رحمه الله إلى ما يمكن ان يقع فى آخر الزمان، مما فعله بعض ملوك التركمان من الخروج فى الزواج على أربع (٢٣٥)

٥٦ ــ فضل العلم

قال ابن حجر.. الفضل هنا بمعنى الزيادة، والفضل الذى تقدم فى اول الكتاب من الفضيلة، فلا يكون تكرارا، وقد رد ابن حجر على ابن المنير فما قاله من الفضيلة غير المرارة هنا ــ إذ كلمة «اعطيتُ فضلي عمرَ.. » بمعنى ما زاد عن حاجته صلوات الله عليه، وهو قدر يتفق والترجمة، وقد أول الرسول اللبن بالعلم ولا ريب أن الاشتراك بينهما فى النفع لا يخفى، (٢٣٦) واللبن كما ورد فى السنة أنفع الاغذية وأبركها، وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاسراء (اخترت الفطرة) حين اختار اللبن كما فى الصحيح .

٥٧ ــ باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها

المراد فتوى المفتى، و يبرز المصنف أن العالم يجيب سؤال الطالب ولو كان راكبا والمراد بالدابة في الترجمه: كل ما يركب، اعم من المعنى اللغوى، وهو كل ما يمشى أو يدب على الأرض.

---

(٢٣٥) ١٨٣

(٢٣٦) الفتح جـ١ ص ١٨٤

وأجاب على ما قد يقال «ليس في سياق الحديث ذكر الركوب» بأنه أحال به على الطريق الاخرى التى اوردها فى الحج فقال «على ناقته» ترجم له .. باب الفتيا على الدابة عند الجمرة فأورد الحديث عن طريق مالك عن ابن شهاب (٢٣٧) .

٥٨ ـ باب من أجاب الفتيا باشارة اليد والرأس

دار هذا الباب على ثلاثة أحاديث أولها لابن عباس وثانيها من رواية ابى هريرة والاشارة باليد فيهما كما في الترجمة، وهما مرفوعان والحديث الثالث من رواية اسماء وفيه الاشارة بالرأس وهو من فعل عائشة رضى الله عن الجميع فيكون موقوفا لكن له حكم المرفوع لأنها كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فى الصلاة يرى مَنْ خلفه فيدخل فى التقرير فطابقة الترجمة للأحاديث الثلاثة تامة.

٥٩ ـ باب تحريض النبى صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس .. الترجمة

هذا الحديث تقدم فى كتاب الايمان (٢٣٨) وقد اخرجه المصنف هناك عالياً عن على بن الجعد عن شعبة ولم يتردد ـ كما تردد ههنا إلا فى المزفت والمقبَّر فقط، فهو هنا كما قال ابن حجر فى قوله «قال شعبة وربما قال النَّقِير» بالنون المفتوحة وتخفيف القاف المكسورة قال «وربما قال المقير» بالميم المضمومة، والقاف المفتوحة، والياء المشددة المفتوحة وليس المراد انه كان يتردد فى هاتين اللفظتين ليثبت إحداهما دون الأخرى لأنه يلزم من ذكر «المقير» التكرار لسبق ذكر المزفت، لانه بمعناه، بل المراد انه كان جازما بذكر الثلاثة الاولى، شاكا فى الرابع وهو النقير فكان تارة يذكره، وتارة لا يذكره، وكان ايضا شاكا فى التلفظ بالثالث، فكان تارة يقول المرفت، وتارة يقول المقير (٢٣٩)

---

(٢٣٧) الفتح ص ١٨٥ الحلبي

(٢٣٨) ص ١٨٨ الحلبي

(٢٣٩) الفتح ص ١٨٩ الحلبي

٦٠ ـــ باب الرحلة فى المسألة النازلة

تكلم ابن حجر عن الرحلةِ لغةً بين فتح الراء اشارة إلى الارتحل مرة واحدة، و بضمها بمعنى الجهة وقد تطلق على من يرُتحلُ اليه.

وذكر كلاما عن الرواة تعريفا بهم، وفى قوله «فركب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة مناط الرابطة بن الترجمة والمتن ــ وفى كتاب النكاح التصريح بأن عقبة هو ابن الحارث(٢٤٠)واشار رحمه الله الى الفرق بين هذه الترجمة، وترجمة باب الخروج فى طلب العلم .. وقد تقدمت ان هذه خاصة، وتلك عامة، فقد خرج هنا لمعرفة حكم هذا الرضاع والخروج هناك كان لمسيرة شهر طلبا للعلم بعامة (٢٤١)

٦١ ـــ باب التناوب فى العلم

مقصود المصنف تناوب النزول .. كما يظهر فى قول عمر «كنت انا وجار لى ..»« وهو قدرٌ كاف فى بيان المطابقة بين الترجمة والمتن، والحديث عن ابى اليمان وحده اتم فى كتاب النكاح (٢٤٢) وفى هذا الحديث الاعتماد على خبر الواحد، والعمل بمراسيل الصحابة وفيه ان شرط التواتر أنْ يكون مستند نقلته الامر المحسوس لا الإشاعة التى لا يُدرى من بدأبها .. الفتح ص ١٩٥ ــ ١٩٦

٦٢ ـــ باب الغضب فى الموعظة والتعليم اذا رأى ما يكره

إن صدق الواعظ يبدو فى انفعاله هو وتأثره بالأمر الذى يفيض فيه قوله أمراً او نهياً وهو فيما وراء ذلك راوٍ حكما، أو مقدم تاريخا يلزم ان يكون فيه واعياً يقظاً حتى يتضح ذلك على السامعين اليه والا كان العكس تماما.

---

(٢٤٠) الفتح/ ١٨٩ ــ ١٩٠ ط الحلبي
(٢٤١) الفتح/ ١٩٠
(٢٤٢) الفتح/ ١٩٠ وفى صحيح البخاري ط الحلبي

قال ابن حجر «قصر المصنف النص على الموعظة والتعليم دون الحكم لأن الحاكم مأمور ألا يقضى وهو غضبان أما الواعظ فمن شأنه ان يكون فى صورة الغضبان لأن موقفه يقتضى تكلف الانزعاج، لأنه فى مقام المنذر .. أقول وهذا هو القَدر الذى عنيت ان يكون الواعظ منفعلا بما يتناول وقد يكون هذا الانفعال يعكس سرورا واستبشاراً !!!!

قال ابن حجر، وكذا المعلم اذا انكر على من يتعلم منه سوء فهم وغيره، لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازما فى حق كلِ احدٍ بل يختلف باختلاف احوال المتعلمين وأما الحاكم فهو بخلاف ذلك كما ذكر المصنف فى كتاب الاحكام ص ١٦٧ ج ٤ صحيح البخارى طبعة الحلبى ــ وذكر ابن حجر أن قول الرسول وهو غضبان لرجل ابوك فلان إنه ليس حكماً، وإن كان حكما فهو من خصوصياته صلى الله عليه وسلم لمحل العصمة التى يستوى فيها غضبه ورضاه، ومجرد غضبه من الشيء امارة تحريمة او كراهته بخلاف غيره صلى الله عليه وسلم» (٢٤٣)

٦٣ ــ باب من برك على ركبتيه عند الامام او المحدث وفيه «بروك عمر رضوان الله عليه فقال .. ص ١٩٨

٦٤ ــ باب من اعاد الحديث ثلاثاً ليُفهَمَ فقال .. الترجمة لاحاديث الثلاثة فى الباب مبرزة للاعادة مطابقة للترجمة، .. وقوله «الا وقول الزور فمازال يكررها» فيها الاعادة وكذا قول ابن عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم «هل بلغتَ ثلاثا فالمطابقة فى التكرار لا مرية فيها» وابن حجر يرى ان ثلاثا راجعة الى «قال» لا إلى بلغت «وقوله صلى الله عليه وسلم» الا وقول الزور طرف معلق ــ كما قال ابن حجر ــ من حديث ابى بكرة فى الشهادات (٢٤٤) وفي الديات (٢٤٥)

---

(٢٤٣) شرح الفتح/ ١٤٣ وقد استنبط منه المصنف الاعتماد على اخبار الآحاد

(٢٤٤) الفتح جـ/ ١٩٤

(٢٤٥) كتاب النكاح باب شهادة المرضعه «صحيح البخاري بتعليق السندي جـ٣ ص ١٧٤ وكتاب الشهادات جـ٢ ص ٦٩ أيضا

وقول ابن عمر طرف من حديث مذكور في الحدود (٢٤٦) اوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع «أى شهر هذا؟ فذكر الحديث».

وقوله عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان.. أى من عادته، وأنس يخبر عما عرفه من شأن النبى، لا أن النبى صلى الله عليه وسلم اخبره بذلك، و يؤيد ذلك ان المصنف اخرجه في كتاب الاستئذان عن اسحق بسنده الى انس فقال «ان النبى صلى الله عليه وسلم كان..» كتاب الأستئذان ج ٤ ص ٦٤ صحيح البخاري ط الحلبى.

وارود ابن حجر قول ابن المنير نبه البخارى بهذه الترجمة على الرد على من كره اعادة الحديث، وانكرعلى الطالب الاستعادة وعده من البلادة، قال: والحق أن هذا يختلف باختلاف القرائح، فلا عيب على المستفيد الذى لا يحفظ من مرة اذا استعاد، ولا عذر للمفيد اذا لم يعد (٢٤٧) وتكرار السلام فى الاستئذان لا فى المرور كما قال الاسماعيلى .

قال ابن حجر وقد فَهِم المصنف هذا بعينه فأورد هذا الحديث مقرونا بحديث ابى موسى فى قصته مع عمر كما فى كتاب الاستئذان ج ٤ صحيح البخارى ـ لكن يحتمل ان ذلك التكرار كان يقع ايضا منه اذا اخشى انه لا يسمع سلامه، وليست الثلاث شرطا ، بل ما تم به التفهيم فيه كفاية (انظر ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ من كتاب الطهارة فى هذا الجزء من الفتح .

٦٥ ـ باب تعليم الرجل أمته وأهله

قال ابن حجر مطابقة الحديث للترجمة نص فى الأَمة، وقياس فى الأهل .. قال اذ الاعتناء بالأهل الحرائر فى تعليم فرائض الله وسنن رسوله آكد من الاعتناء بالاماء»

(٢٤٦) الفتح ١ ـ ١٧٥

(٢٤٧) صحيح البخاري جـ٣ ص ١١١

والحديث المفرد كما قال ابن حجر اخرجه البخارى لصالح بن حُيىّ عن الشعبى من طرق منها فى الجهاد من طر يق ابن عيينة قال حدثنا صالح بن حُيىّ ابى حسين قال سمعت الشعبى .

واصرح من ذلك، انه اخرج الحديث المذكور فى كتاب «الأدب المفرد بالاسناد الذى اخرجه هنا فقال صالح بن حُيىّ (٢٤٨)

٦٦ ــ باب عظة النساء وتعليمهن

هذا الباب يتفق فيه الترجمة والمتن، وهو عام فى تعليم الامام «و وعظه لعامة النساء بعد تعليم الرجل خاصة من اماء واهل، قال ابن حجر: نبه بهذه الترجمة على ان ما سبق من الندب الى تعليم الأهل ليس مختصا بأهلهن بل ذلك مندوب للامام الاعظم ومن ينوب عنه (٢٤٩)

قال ابن حجر : واستفيد الوعظ بالتصر يح من قوله فى الحديث فوعظهن وكانت الموعظه بقوله «انى رأيتكن اكثر اهل النار . .»

واستفيد التعليم من قوله «وامرهن بالصدقة» كأنه أعلمهن ان فى الصدقة تكفيراً لخطاياهن التى ذكرها سبباً لكونهن اكثر اهل النار.

٦٧ ــ باب الحرص على الحديث

فى الحديث حرص ابى هر يرة على الحديث وفضله بهذا، والترجمة والمتن متطابقان، وقد لحظ ابن حجر من قول ابى هر يرة «من أسعدُ . .» وقول النبى صلى الله عليه وسلم «اسعد الناس بشفاعتى» اموراً فهو يقول «ومعنى افعل فى قوله» اسعد الفعل، لا أنها افعل التفضيل أى سعيد الناس، كقوله تعالى «واحسن مقيلا» الفرقان / ٢٤ ويحتمل ان يكون افعل التفضيل على بابها، وان كل احد يحصل له سعد بشفاعته، لكن المؤمن المخلص اكثر سعادة بها، فانه صلى

---

(٢٤٨) الفتح ١٩٧ ــ ١٩٨

(٢٤٩) صحيح البخاري ص ٦٩ جــ٢

الله عليه وسلم يشفع فى الخلق لا راحتهم من هول الموقف، و يشفع فى بعض الكفار بتخفيف العذاب كما صح فى حق ابى طالب، و يشفع فى بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد ان دخلوها، وفى بعضهم بعدم دخولها بعد ان استوجبوا دخولها، وفى بعضهم بدخول الجنة بغير حساب، وفى بعضهم برفع الدرجات فيها، فظهر الاشتراك فى السعادة بالشفاعة وأن اسعدهم بها المؤمن المخلص (٢٥٠)

٦٨ ـ باب كيف يُقْبض العلم؟

هذا لون فى الترجمة بالاستفهام، والمراد كيفية قبض العلم، وقد سبق «رفع العلم» وههنا تتفق الترجمة بالاجابة على الاستفهام فى الحديث التالى «يقبض العلماء» وفى الحديث الاول ابتداء تدو ين السُّنه، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ، كذا قال ابن حجر (٢٥١) وكثيرون من العلماء يرون ان ذلك حكم غالبى، والا فقد كانت هناك صحف وكان هناك اذن لعدد من الصحابة بالتدو ين والكتابة وقد ذكر ابن حجر عدة فوائد من الحديث واشار الى مز يد فى كتاب الاعتصام .

٦٩ ـ باب هل يجعل للنساء يوما على حدته فى العلم

موافقة الترجمة وهى استفهام للمتن متطابقة إذ سألن النبى ان يجعل لهن يوما فوعدهن يوما لقيهن فيه « والذى يجعل هو الامام وفيه ان الاختيار له فى اجابة طلبهن بتحديد اليوم الذى يراه هو، ونبه ابن حجر الى مز يد قول فى الحديث الجنائز والاعتصام..

٧٠ ـ باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه..

المتن موافق للترجمة بشهادة ام المؤمنين عائشة كما يروى ابن مليكة، وشهادة قولها أو ليس الله يقول «فسوف يحاسب حساباً يسيراً» الانشقاق / ٨

---

(٢٥٠) صحيح البخاري جـ ٤ ص ١٣٨

(٢٥١) جـ ٤ ص ١٢٢ صحيح البخاري طبعة الحلبى

فعرفها النبى صلى الله عليه وسلم «ان ذلك العرض ـ » اى عرض الناس على الميزان، ليتمايز اهل الاساءة واهل الاحسان، وفى الحديث حرص عائشة على القيم، وان الرسول لم تكن تضجرُه المراجعة النافعة، وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب، وان السؤال فى مثل ذلك لم يدخل فيمانُهى الصحابه عنه فى قوله تعالى «لا تسألوا عن اشياء» المائدة / ١٠١ واورد ابن حجر حديث أنس كُنَّا نهينا ان نسأل رسول الله عن شيء وذكر رحمه الله ما وقع من مثل ذلك لغير عائشة رضى الله عنها .. (٢٥٢)

٧١ ـ باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب قاله ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم:ـ

الشاهد هنا الحاضر اى ليبلغ من حضر من غاب وهو المعنى المشترك بين الترجمة والمتن والعلم «ليس في رواية ابن عباس ولاغيره كما يقول ابن حجر، ولكنه بمعناه فيها، لان المأمور بتبليغه هو العلم..

و بعد ان استخلص ابن حجر من الحديث احكامه وفوائده قال ..وقد تقدم هذا الحديث في اوائل كتاب العلم (   ) من طريق أخرى عن محمد عن عبد الرحمن بن ابى بكرة عن أبيه ونبه الى ذكره بعد في تفسير براءة وفي كتاب «بدء الخلق» ذكر النبى صلى الله عليه وسلم في اختصار توجيهه هناك (٢٥٣) وقد تقدم الجزم بقوله «وأعراضكم في أول باب» العلم.

٧٢ ـ باب اثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم.

قال ابن حجر «ليس في الاحاديث التى في الباب تصريح بالاثم، وإنما هو مستفاد من الوعيد بالنار على ذلك لانه لازمه..»

والكذب عام في كل أنواعه والنهي لكل كاذب بدون نظر الى ان ذلك له أو عليه صلوات الله عليه، قال ابن حجر «وقد إغتر قومٌ فوضعوا احاديث في

---

(٢٥٢) الفتح ص ١٩٩ ط الحلبي

(٢٥٣) الفتح ص ٢٠٠

الترغيب والترهيب وقالوا نحن لم نكذب عليه ولكننا فعلنا ذلك لتأييد شريعته ومادروا أن تقويله صلى الله عليه وسلم مالم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى، لانه اثبات حكم من الاحكام الشرعية سواء كان في الايجاب أو الندب وكذا مقابلهما وهو الحرام والمكروه، ولايعتد بمن خالف ذلك من الكرامية حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيته بين ماورد في القرآن والسنة واحتج بأنه كذب له لاعليه وهو جهل باللغة العربية.. وتمسك بعضهم بما ورد في بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت وحتى ما اخرجه البزار من حديث ابن مسعود بلفظ «من كذب على ليضل به الناس الحديث ..» وأشار الى الخلاف في وصله وارساله وتكلم فيه على فرض ثبوته بما لاينهض حجة للمحتجين به على الكذب على رسول الله مستأنساً بالنظر في آيات من القرآن الكريم..(٢٥٤)

وفي الحديث الثاني «عن جامع بن شداد» لطيفتان في الاسناد يقول فيهما ابن حجر.

«احداهما انه من رواية تابعي عن تابعي، يرويه صحابي عن صحابي فجامع كوفي تابعي صغير ثانيتهما: أنه من رواية الأبناء عن الآباء بخصوص رواية الاب عن الجد وقد أُفردت بالتَّصنيف.

ولازم ملازمة الزبير للرسول صلى الله عليه وسلم فهو السماع في قوله «أما انى لم أفارقه ولكن سمعته» وابن حجر يقرر ان الخبر في الغالب فقد هاجر الزبير الى الحبشة ولم يكن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حال هجرته الى المدينة.

ولازم السماع التحديث لكن منعه من ذلك ماخشيه من معنى الحديث الذى ذكره وقد ساق ابن حجر جواب الزبير بسؤال ابن عمه خشية تحديثه نقلا عن الزبير بن بكار في كتاب «النسب»(٢٥٥) وذكر ان رواية «متعمد عداً لم ترد في رواية البخارى» من كذب على فليتبوأ وفي الحديث الثالث « من تعمد على» وفي الذى يليه «ومن كذب على متعمدا»

---

(٢٥٤) ٢٠١ ــ ٢٠٢ ط الحلبي
(٢٥٥) الفتح/ ٢٠٤

ولقد أبرز ابن حجر من تحرز الزبير معنى جليلا وهو يقول «وفي تمسك الزبير بهذا الحديث على ماذهب اليه من اختيار قلة التحديث دليل للأصح في أن الكذب هو الاخبار بالشيىء على خلاف ماهو عليه سواء كان عمدا أم خطأ، والمخطىء وان كان غير مأثوم بالاجماع لكن الزبير خشى من الاكثار ان يقع في الخطأ وهو لايشعر لأنه وان لم يأثم بالخطأ لكنه قد تأثم بالاكثار لأن الاكثار مظنة الخطأ، والثقة اذا حدث بالخطأ تحمل عنه وهو لايشعر انه خطأ يعمل به على الدوام، للوثوق بنقله فيكون سببا للعمل بما لم يقله الشارع..»

وفي الحديث الذى رواه أنس «خشيته مما خشى منه الزبير.. «قال ابن حجر» ولهذا صرح بلفظ الاكثار «حديثا كثيرا لأنه يظنه ومن حام حول الحمى لا يأمن وقوعه فيه..»

ومع ذلك كان أنس من المكثرين لانه قد تأخرت وفاته وكانت الحاجة اليه وقد قدمت أن ابن عمر مع توقيه وتوقفه كان من المكثرين لكثرة مستفتيه وسائليه رضى الله عنه وابرز ابن حجر الرد على من قالوا ان انسا كان يتحرز ليروى اللفظ النبوى فقال رحمه الله «والمعروف عن أنس جواز الرواية بالمعنى — كما اخرجه الخطيب عنه صريحا وقد وجد في رواياته ذلك كالحديث في البسمله وفي قصة تكثير الماء عند الوضوء.

ومكى بن ابراهيم من كبار شيوخ البخارى — رحمهم الله سمع عن سبعة عشر نفسا من التابعين ومنهم يزيد بن ابي عبيد التالي له في السند هنا وهو مولى سلمه بن الأكوع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم..

واشار ابن حجر الى طريقة أن حديث مكي عن يزيد هو أول ثلاثي وقع في البخارى قال وليس فيه اعلا من الثلاثيات.. وقد ذكر انها افردت فبلغت عشرين حديثا ومن قوله صلى الله عليه وسلم «مالم اقل» أىْ شيئا لم اقله ذكر القول لانه الأكثر قال ابن حجر وحكم الفعل كذلك لاشتراكهما في علة الامتناع، وقد دخل الفعل في عموم حديث الزبير وانس، لتعبيرهما بلفظ الكذب عليه، ومثلهما حديث أبي هريرة الذي ذكره من حديث سلمة فلا فرق في ذلك

بين ان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا.. اذا لم يكن قاله او فعله، وقد تمسك بظاهر هذا اللفظ من منع الرواية بالمعنى وأجاب المجيزون عنه بان المراد النهى عن الاتيان بلفظ يوجب تغيير الحكم مع الاتيان باللفظ، لاشك في اولويته ونظر في الفرق بين الكذب على رسول الله والكذب على غيره ــ فبين كفر الكاذب على رسول الله اذا تعمد ذلك عند بعض اهل العلم.. وذكر أبا محمد الجويني وخلاف امام الحرمين ابنه ومن بعده في ذلك واختيار ابن المنير له ووجهة نظره في ذلك ورد ذلك ابن حجر، واثبت رأي الجمهور ان من تعمد الكذب لايكفر إلا اذا اعتقد حِلَّ ذلك..

وبين ان الكذب المتعمد على رسول الله كبيرة والكذب على غيره صغيرة.. فافترقا.. وبقى بعد ذلك ان يكون ولوجه النار على التأبيد، وذلك لايكون الا للكافرين بخاصة وفي كتاب الجنائز مزيد من الأحكام في هذا السياق.. (٢٥٦). وهذه نظرة نافعه لابن حجر في أحاديث الباب قال .. «تنبيه». رتب المصنف أحاديث الباب ترتيا حسنا، لانه بدأ بحديث على وفيه مقصود الباب وثنى بحديث الزبير الدال على توقى الصحابة وتحرزهم من الكذب عليه وثلث بحديث أنس الدال على أن اقتناعهم انما كان من الاكثار المفضى الى الخطأ، لا عن أصل التحديث، لانهم مأمورون بالتبليغ، وختم بحديث أبى هريرة الذي فيه الإشارة الى استواء تحريم الكذب عليه سواء كانت دعوى السماع منه في اليقظة او في المنام(٢٥٧)

قال ابن حجر.. وقد اخرج البخارى حديث من كذب علىّ...» أيضاً من حديث المغيرة وهو في الجنائز جـ ١ ص ١٥٩ صحيح البخاري.. ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وهو في أخذ بنى اسرائيل(٢٥٨) ومن حديث واثلة بن الأسقع وهو في مناقب قريش لكن ليس هو بلفظ الوعيد بالنار صريحا..

---

(٢٥٦) ٢٩٤

(٢٥٧) الفتح/ ٢٠٧

(٢٥٨) الفتح/ ٢٠٨ ــ ٢٠٩ جـ ١ ــ الحلبي

وذكر ابن حجر اتفاق البخاري ومسلم على تخريج الأحاديث الأربعة لعلى وأنس وابى هريرة والمغيرة واخرجه مسلم من حديث أبى سعيد أيضا وذكر صحته في غير الصحيحين ومن رووه بأسانيد حسان حتى قال.. فهؤلاء ثلاثون نفساً من الصحابة.. وأشار الى عدد من رووه بأحاديث ضعيفه، ومن روده بأحاديث ساقطة ومن جمع طرقه من الحفاظ ابتداء من أول من وقف هوعليه منهم ومن تبعه وهكذا حتى قال:

«ولأجل كثرة طرقه اطلق عليه جماعة انه متواتر،ونازع بعض مشايخنا في ذلك، لان شرط المتواتر استواء طرفيه ومابينهما في الكثرة، وليست موجودة في كل طريق منها بمفردها.. قال .. وأجيب بان المراد باطلاق كونه متواترا رواية المجموع عن المجموع من ابتدائه الى انتهائه في كل عصر وهذا كاف في إفادة العلم».

أورد بعد ذلك آخرين من التابعين والثقات رووا احاديث انس وعلى وابن مسعود وابو هريرة وعبدالله بن عمرو ثم قال.. فلو قيل فى كل منها انه متواتر عن صحابته لكان صحيحا، فان العدد المعين لايشترط فى المتواتر بل ما أفاد العلم كفى، والصفات الكلية في الرواة تقوم مقام العدد.. الى آخر ما أصّل وفصّل رحمه الله.. (٢٥٩).

٧٣ ـ باب كتابة العلم

لم يجزم البخارى في الكتابة اباحة أو منعا فطر يقتهُ رحمه الله ـ كما قال ابن حجر ـ في الاحكام التى يقع فيها الاختلاف ان لايجزم فيها بشيىء بل يوردها على الاحتمال قال..

وهذه الترجمة من ذلك لان السلف اختلفوا في ذلك عملا وتركا وإنْ كان الامر استقر والاجماع انعقد على جواز كتابة العلم بل على استحبابه بل لايبعد وجوبه على من خشى النسيان ممن يتعين عليه تبليغ العلم ( ) وقد تقدم ذلك غير مرة.

---

(٢٥٩) ٢١٠

«أكد ابن حجر أن» سفيان هو الثورى ــ لا إبن عيينه كما قال أبو مسعود الدمشقى فى الأطراف ــ قال اذ لو كان ابن عيينه لنسبه لان قاعدة الامام في كل من روى عن متفقى الاسم أن يحمل من أهمل نسبه على من يكون له به خصوصية من اكثار ونحوه (٢٦٠) قال ابن حجر وهكذا تقول هنا لان وكيعاً قليل الرواية عن ابن عيينه بخلاف الثورى (٢٦١) واسناد الحديث الاول كلهم كوفيون الا محمد بن سلام شيخ البخارى وقد دخل الكوفه والحديث من رواية صحابى عن صحابى.

وسؤال الصحابى ابى جحيفة لعلى ضرورى قال ابن حجر لان جماعة من الشيعة كانوا يزعمون ان عند اهل البيت لاسيا علياً اشياء من الوحى خصهم النبى صلى الله عليه وسلم بها، لم يطلع غيرهم عليها.. وذكر ابن حجر جماعة اخرين سألوا ذلك عليا رضى الله عنهم (٢٦٢) ومازال يقال مايقال عن مصحف فاطمة واضعافه مرات ومرات على المصحف الامام وهو كلام نجلوه في غير هذا المقام.

ومن قول على «أو فهمٌ اعُطِيهُ رجل مسلم» «من استخلص ابن المنير ان عليا كان عنده أشياء مكتوبه من الفقه المستنبط من كتاب الله بدليل رفع «فهمٌ» فلو كان الاستثناء من غير الجنس لكان منصوبا.. قال ابن حجر والظاهر ان الاستثناء منقطع والمراد يذكر الفهم اثبات امكان الزيادة على مافي الكتاب وقد رواه المصنف في الديات (٢٦٣) بلفظ «ما عندنا الا مافي القرآن إلا فهما يعطى رجل في الكتاب ».

---

(٢٦٠) الفتح ٢١٠
(٢٦١) الفتح/ ٢٠٩ ــ ٢١٣
(٢٦٢) الفتح/ ٢١٣
(٢٦٣) المصدر والصحيفة

والجميل في أمر صحيفة على الذى اختلفت اقوال الرواة فيما فيها ان ابن حجر اورد هذه الاقوال للرجال ثم قال والجمع بين هذه الاحاديث ان الصحيفة واحدة وان جميع ذلك كان مكتوبا فيها فنقل كل واحد من الرواة عنه ماحفظهُ(٢٦٤)

وفي قول ابى شاه «اكتبو لى فقال رسول الله اكتبوا لأبي شاه مطابقة الحديث للترجمة.

وقد فصل ابن حجر رحمه الله ما أجملناه من قبل في أمر أبي هر يرة وعبد الله بن عمر وكيف كتب ولم يكتب ابو هر يرة فكثر واستفاض ماروى أبو هر يرة دون ابن عمر وأضاف أطرافا جديدة عن ابي هر يرة فقد روى عنه كما قال البخاري ثمانمائة من التابعين(٢٦٥) ولم يقع هذا لغيره كما ذهب بخصيصة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بأن لاينسى مايحدثه به وقد نظروا الى قول ابي هر يرة ولم اكتب(٢٦٦) ومار بوانه اخرج كتبا للحسن بن عمرو بن أميه وأنه كتب بعد النبي أو ان ماكان مكتوبا عنده ليس بخطه «أقول وهو وان صح في أن أبا هر يرة لم يكتب اذ لم يكن كاتبا ــ فان ذلك يدل على أن المكتوب قد تعدد وجاوز ابن عمرو وابا شاه(٢٦٧) والكلام بعد ضروري في دعم ما اسلفت في تدو ين السنة بين الفعل والترك وقد انتهى ابن حجر رحمه الله من هذا السبح الجليل الى ابراز فوائد من حديث الباب منها.

جواز كتابة العلم، ووقوع الاجتهاد في عصر النبى صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه وحى وحسن التبو يب بتقديم حديث على انه كتب بعد رسول الله واحتمال ان النهى لم يبلغه وثنى بحديث ابى هر يرة وفيه الامر بالكتابة وهو بعد

---

(٢٦٤) الفتح ٢١٣ ــ ٢١٤
(٢٦٥) ٢١٤
(٢٦٦) الفتح ص ٢١٤ الحلبي
(٢٦٧) ٢١٤ ــ ٢١٥ الحلبي

النبي فيكون ناسخاً وتلث بحديث ابن عمرو، واذن النبي فيه صريح وواضح والاحتجاج به في الكتابة ادل من حديث ابى شاه والاذن له لانه كان معذورا بأميته وفقد بصره وانه ليس مقيما.

وختم بحديث ابن عباس الدال على انه صلى الله عليه وسلم هم أن يكتب لأمته كتابا يحصل معه الأمن من الاختلاف وهو لايهم الا بحق (٢٦٨)

٧٤ ـ باب العلم والعظه بالليل

ان تعليم العلم والعظة يكونان بليل ونهار، وانما أراد البخارى رحمه الله التنبيه على ان النهى عن الحديث بعد العشاء انما هو مخصوص بما لانقع فيه والترجمة تلتقى صراحة مع الحديث في قول أم سلمه «استيقظ» فقال سبحان الله ماذا..؟! الحديث وابرز ابن حجر مافي اسناد الحديث من رواية الاقران في موضعين

أولهما: ابن عيينه عن معمر، وثانيهما عمرو ويحيى عن الزهرى.

وفيه رواية ثلاثة من التابعين بعضهم عن بعض في نسق..

وهند قد قيل انها صحابية فان صح فهو رواية تابعى عن تابعى عن صحابية عن مثلها. وهي أم المؤمنين أم سلمة المخزوميه وكانت الليلة ليلتها(٢٦٩)

٧٥ ـ باب السّمر في العلم

المراد به على فتح الميم وتسكينها مصدرا أو أسما للفعل، هو الحديث بالليل قبل النوم خلافا لما سبق فانه تعليم ووعظ في الليل وهو الفرق بين الترجمتين.

وسالم في الحديث الاول هو سالم بن عبد الله بن عمر، والحكم في الحديث الثانى هو ابن عتيبة وهو تابعى صغير وكان أحد الفقهاء.

---

(٢٦٨) صحيح البخاري جـ ٤ ص ١٣٦

(٢٦٩) ٢١٥

ومناسبة حديث ابن عمر للترجمة ظاهرة لقوله فيه قام فقال بعد قوله صلّى العشاء واما حديث ابن عباس فقال ابن المنير ومن تبعه يحتمل ان يكون اراد ان اصل السمر يثبت بهذه الكلمة «نام الغليم» ويحتمل ان يريد ارتقاب ابن عباس لأحوال النبى صلى الله عليه وسلم، ولافرق بين التعليم من القول والتعليم من الفعل قد سمر ابن عباس ليلته فى طلب العلم واورد ابن حجر اقوالا اخرى عقب عليها بقوله.

وكل ماذكره معترض لأن من يتكلم بكلمة واحدة لايسمى سامرا وصنيع ابن عباس يسمى سهراً لاسمراً اذ السمر لايكون الا عن تحدث ولأن مايقع بعد الانتباه من النوم لايسمى سمرا واورد كلمة في السمر للكرمانى ثم قال والاولى من هذا كله ان مناسبة الترجمة مستفادة من لفظ آخر في هذا الحديث بعينه من طريق أخرى وهذا يَصْنعُهُ البخارى كثيرا يريد به تنبيه الناظر في كتابه الى الإعتناء بتتبع طرق الحديث والنظر في مواقع الفاظ الرواة لان تفسير الحديث بالحديث أولى من الخوض فيه بالظن.

وانما اراد البخارى هنا ماوقع في بعض طرق الحديث مما يدل صريحاً على حقيقة السمر بعد العشاء وهوما اخرجه في التفسير وغيره من طريق كريب عن ابن عباس قال « بت في بيت ميمونه فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم» الحديث

فان قيل ان هذا اسمرٌ مع الأهل لا في العلم قال ابن حجر انه يلحق به بجامع تحصيل الفائدة أو هو بدليل الفحوى فانه اذا شرع في السباح نفى المستحب من باب اولى (٢٧٠)

٧٦ ــ باب حفظ العلم

لم يذكر في الباب شيئا عن غير أبي هريرة وتلك وجوه اخرى لفضله رضوان الله عليه وحفظُهُ للعلم بعد ان دعا له الرسول ان لاينسى ماحفظ جامعة

(٢٧٠) الفتح ٢١٧

الترجمة والاحاديث ورحم الله ابن حجر فقد جال جولة بعيدة الاطراف في الكلام عن فضل الصحابى الجليل الذى يتطاول عليه من ينتسبون الى الرسول صلوات الله عليه اليوم وفي كلامه الصحيح ماتقوم به حجة فَضْلِهِ اليوم كما قامت من قبل على أقوام حتى قال ابن حجر «وفي الحديثين فضيلة ظاهرة لأبى هر يرة ومعجزة واضحة من علامات النبوة، لان النسيان من لوازم الانسان، وقد اعترف ابو هر يرة بانه كان يكثر منه ثم تخلف عنه ببركة النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته له».

وفى الحديث الرابع عن سعيد المعبرى عنه «حفظت عن رسول الله صلى الله وسلم دعاءين...» مايدل على ان أبا هر يرة وعى الكثير وانه امسك مالايتعلق بالشر يعة، وهو الذى تمثل آية كتمان العلم في أول الباب مما يتعلق بالفتن واشراط الساعة.(٢٧١)

٧٧ ــ باب الانصات للعلماء

صحح ابن حجر تاريخ إسلام جر ير بن عبد الله البجلى راوى الحديث، وانه كان في رمضان سنة عشر كما قال البغوى وذكر ان المصنف له رواية تعضد ماذهب اليه البغوى وهى عنده في حجة الوداع(٢٧٢)

قال ابن بطال فيه ان الانصات للعلماء لازم للمستعلمين لان العلماء ورثة الانبياء وكأنه اراد بهذا مناسبة الترجمة للحديث ــ وذلك أن العقبة المذكورة كانت في حجة الوداِع والجمع كثير جدا وكان اجتماعهم لرمى الجمار وغير ذلك من أمور الحج وقد قال لهم خذوا عني مناسككم كما ثبت في صحيح مسلم(٢٧٣) فلما خطبهم ليعلمهم ناسب أن يأمرهم بالانصات (٢٧٤) وفاوتَ بين الانصات والاستماع في الاية وأفاد فى المعنى .

(٢٧١) ٢١٧ ــ ٢٢٠
(٢٧٢) الفتح/ ٢٢٠
(٢٧٣) ٢٢١ ــ ٢٢٢
(٢٧٤) عن آل عمران الآية/ ١٩٠ صحيح البخاري جــ٦ ص ٥١

٧٨ ــ باب مايستحب للعالم اذا سئل أى الناس اعلم؟ فيكلُ العلم الى الله.

ان كليم الله صلوات الله عليه ترك المستحب فعوتب في ذلك على النحو الذى سبق فيه الحديث وما شابهه والقرآن الكريم حجة فيه. قال ابن حجر في قوله «قال أنا اعلم «في جواب أى الناس أعلم»؟ قيل انه مخالف لقوله في الرواية السابقة في باب «الخروج في طلب العلم «قال هل تعلم أحداً أعلم منك»؟

قال ابن حجر «وعندى لامخالفة بينهما لان قوله هنا «أنا أعلم» أى فيما أعلم، فتطابق قوله «لا» في جواب من قال له «هل تعلم أحد أعلم منك؟ في اسناد ذلك الى علمه لا الى مافي نفس الأمر»

وساق ابن حجر ماعند النسائى وعند عبد الرزاق، وعند مسلم، وظن ابن بطال كما رآه ابن المنير ورده عليه بأن اجابة موسى برد العلم الى الله وحده كانتْ مُتعينة قال إنما عوتب على انتصاره على ماقال لان الجزم يوهم انه كذلك في نفس الأمر وانما مراده الاخبار بما في علمه .. والعتب من الله على الوجه الذى يليق به تعالت أسماؤه وصفاته.. (٢٧٥)

وألمح ابن حجر رحمه الله الى تعقب ابن المنير على ابن بطال ايراده في هذا السياق شواهد كثيره من اقوال السلف في التحذير من الدعوى في العلم والحث على قول العالم لا أدرى ورآى ان ذلك في هذا السياق غير لائق ووافق ابن حجر على ذلك وقال:

«وليس قول موسى عليه السلام «لااعلم» كقول آحاد الناس مثل ذلك ولا نتيجة قوله كنتيجة قولهم بأن نتيجة قولهم العجب والكبر ونتيجة قوله المز يد من العلم والحث على التواضع والحرص على طلب العلم، واستدلاله به على انه لايجوز الاعتراض بالعقل على الشرع خطأ لان موسى انما اعترض بظاهر الشرع لا بالعقل المجرد» (٢٧٦)

---

(٢٧٥) الفتح/ ٢٢٣ ــ ٢٢٤

(٢٧٦) الفتح/ ٢٢٤ ــ ٢٢٧

وفي قوله «حدثني أُبَيٌّ بن كعب دليل على قوة خبر الواحد المتفن عند البخارى وفي الاسناد رواية تابعى عن تابعى وهما عمرو وسعيد ورواية صحابى عن صحابى وهما ابن عباس وأبى (٢٧٧)

وفي النص «أنَّ موسى هو موسى بنى اسرائيل كما قال صلى الله عليه وسلم للخضر فبعد أن سلم عليه عرفهُ بنفسه.. وكان سلام موسى عليه مثيراً قول الخضر« أنَّى بأرضك السلام ؟! قال ابن حجر «والمعنى: من أين السلام في هذه الأرض التى لايعرف فيها وكأنها كانت بلاد كفر أو كانت تحيتهم بغير السلام»

ولقد استخرج ابن حجر فوائد ذات بال من حديث موسى والخضر عليهما السلام وحقق من أمور الخضر ماتشتدُ الحاجة اليه وأهمُّهُ أن الخضر ليس افضل من كليم الله ومجمع هباته وأعطياته فغاية الخضر أن يكون كواحد من انبياء بنى اسرائيل وموسى افضلهم واقرأ صحيفتى ٢٣١ ــ ٢٣٢ من الفتح حـ ١ ففيهما تفصيل جليل.

٧٩ ــ باب من سأل وهو قائم عالما جالسا

حديث أبى موسى نص فى الرجل الذى جاء رسول الله صلى الله عليه فسأله فظهرت المطابقة بين الترجمة والحديث بدلالة «ومارفع اليه رأسه الا أنه كان قائما» وظاهر قوله «ومارفع اليه رأسه» أنه من كلام ابى موسى ويحتمل أن يكون من دونه فيكون مدرجا في اثناء الخبر. للتفسير و بيان حال النبى صلى الله عليه وسلم وحال الرجل (٢٧٨)

---

(٢٧٧) شرح السنة جـ٧

(٢٧٨) هو برواية جابر وأم الحصين جـ٩ ص ٤٤ وما بعدها بلفظ «لتأخذوا»

٨٠ ــ باب السؤال والفتيا عند رمي الجمار

بيان مراد البخارى لايصعب فاشتغال العالم بالطاعة لايمنع من سؤاله عن العلم مالم يكن مستغرقاً في الطاعة وأن الكلام في الرمى وغيره من المناسك جائز..

لكن على الحاج أن يتقى الله فيما يقول و يفعل وفيما يجيب به حين يُسأل !!

والحديث تقدم في «باب الفتيا على الدابة..» والترجمة نص في المتن من جهة أن المصنف ـ كما قال ابن حجر ـ كثيرا ما يتمسك بالعموم، فوقوع السؤال عند الجمرة أعم من أن يكون في حال اشتغاله بالرمي، او بعد الفراغ منه واشكال الاسماعيلى الأول اجيب عليه في باب الفتيا وهو واقفٌ على الدابة .

أما اشكال كفاية «السؤال يوم النحر» وأن فيه غنى عن الترجمة ههنا فوجهها انه أراد أن يقابل المكان بالزمان وان كان معلوما أن السؤال عن العلم لايتقيدُ بيوم دون يوم (٢٧٩)

٨١ ــ باب قول الله تعالى «وماأوتيتم من العلم الاقليلا» الاسراء (٨٥)

اسناد الاعمش الى منتهاه كما قال ابن حجر مما قيل إنه اصح الأسانيد

وقد عنون للباب بآية وقد سبق وجه ذلك وأكد ابن حجر رحمه الله ان رواية الاعمش لآخر الآية «وما أُوتُوا» ليست في السبعة ولا في المشهور من غيرها..»

باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يَقْصُرفهمُ بعض الناس عنه فيقعوا فى أشد منه

ترك الرسول جعل بابين للكعبه كما هو في المتن بعلتهِ وسببه فالاختيار فعل الشيء المختار والإعلام به كما قال ابن حجر وفى الحديث معنى ما ترجم له لأن قريشا كانت تعظم امر الكعبة جدا فخشى صلي الله

---

(٢٧٩) الفتح/ ٢٢٨

عليه وسلم أن يظنوا لقرب عهدهم بالاسلام انه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك (٢٨٠)

٨٢ ـ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لايفهمون وقال على حدثوا... الترجمة

ذكر أبن حجر أن اسناد عبيد الله بن موسى الى على من عوالى البخاري لانه يلتحق بالثلاثيات من حيث أن الراوى الثالث منه صحابى وهو ابو الطفيل عامر بن واثله الليثي آخر الصحابة موتا، وليس له في البخاري غير هذا الموضع..

وفي كلمة على حدثوا.. دليل على ان المتشابه لاينبغى أن يذكر عند العامة ومثله قوله إبن مسعود الذى اخرجه مسلم ماانت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة.

و يبدو ان التوافق بَعُدَ بين الترجمة والاحاديث في صنيع رسول الله بايثار معاذ ههنا (٢٨١)

٨٣ ـ باب الحياء في العلم وقال مجاهد : لايتعلم العلم مستحى ولا مستكبر.

المراد حكم الحياء في طلب العلم، والحياء من الايمان وهو الحياء الشرعى الذى يقع على وجه الاجلال والاحترام للأكابر وهو محمود، وهو تغيرٌ وانكسار يعترى الانسان من فعل مايعاب به أو يذم والمذموم مايقع سببا لترك أمر شرعى وليس بحياء شرعى ولكنه ضعف ومهانة وهو المراد بقول مجاهد «لايتعلم العلم مستحى» ولا في هذه الجملة ناهية وكأنه أراد تحريض المتعلمين على ترك العجز والتكبر، لما يؤثر كل منهما من النقص في التعليم وقد وصل ابو نعيم في الحلية كلمة مجاهد من طريق علي بن المدينى عن ابن عيينه عن منصور عنه.. وهو اسناد صحيح على شرط البخارى.

---

(٢٨٠) الفتح/ ٢٢٩

(٢٨١) ٢٣٠

«وقالت عائشة» هذا التعليق وصله مسلم من طريق ابراهيم بن مهاجر عن صفية بنت شيبة عن عائشة في حديث أولهُ أن اسماء بنت يزيد الانصاريه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض.. قال ابن حجر

وفي الاسناد من اللطائف رواية تابعى عن مثله، عن صحابيه عن مثلها، وفيه رواية الابن عن أبيه، والبنت عن أمها!!

والحديث وان تقدم في أول باب العلم لابن عمر، انما أعادة ههنا لقوله «فاستحييت» ولتأسف عمر على كونه لم يقل ذلك لتظهر فضيلته فاستلزم حياء ابن عمر تفويت ذلك وكان يمكنه اذا استحيا اجلالا لمن هو أكبر منه أن يذكر ذلك سرا لغيره ليخبر به عنه فجمع بين المصلحتين، ولهذا عقبه المصنف باب «من استحيا فأمر غيره بالسؤال» وذكر حديث على .. وسيلى هذا ـ واستدل به بعضهم على جواز الاعتماد على الخبر المظنون مع القدرة على المقطوع، وهو خطأ، ففى النسائى أن السؤال وقع وعلىٌّ حاضرـ وحديثه فى باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال موافق للترجمة وهو «كنت رجلا مذاءً فأمرت المقداد أن يسأل النبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال «الله الوضوء» (٢٨٢)

٨٤ ـ بابا ذكر العلم والفتيا في المسجد..

أى جوازهما، و يعلم العالم و يفتى المفتى في المسجد.. قال ابن حجر وأشار بهذه الترجمة الى الرد على من توقف في ذلك لما يقع في المباحثة من رفع الاصوات فنبه على الجواز.

وفى ألفاظ الحديث جواز إطلاق الزعم على القول المحقق لان ابن عمر سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم «و يُهِلّ...» وان لم يفقه هذه الجملة من النبى صلى الله عليه وسلم فصار يرويها عن غيره وهو دال على شدة تحرِّيه وورعه(٢٨٣)

---

(٢٨٢) الفتح/ ٢٢٩

(٢٨٣) ٢٣٣

٨٥ ــ باب من اجاب السائل بأكثر مما سأله.

قال ابن المنير موقع هذه الترجمة التنبيه على ان مطابقة الجواب للسؤال غير لازمه، بل اذا كان السبب خاصا والجواب عاما جاز، وحمل الحكم على عموم اللفظ لاعلى خصوص السبب لانه جواب وز يادة فائدة و يؤخذ منه ايضا أن المفتى اذا سئل عن واقعة واحتمل عنده أن السائل متذرع بجوابه الى ان يعدّيه الى غير محل السؤال تعين عليه ان يفصل الجواب، ولهذا قال فان لم يجد نعلين فكأنه سأل عن حالة الاختيار فأجابه عنها وزاده حالة الاضطرار، وليست أجنبية عن السؤال فليس المراد بالمطابقة عدم الز يادة بل المراد ان الجواب يكون مفيداً للحكم المسئول عنه قال ابن دقيق العيد وفى الحديث أيضا العدول عما لاينحصر الى ماينحصر طلبا للايجاز لان السائل سأل عما يلبس فأجيب بما لايلبس اذ الاصل الاباحة ولو عدد له مايلبس لطال به بل كان لايؤمن أن يتمسك بعض السامعين بمفهومه فيظن اختصاصه بالمحرم، وأيضا فالمقصود مايحرم لبسه لا مايحل له لبسه لانه لايجب له لباسٌ مخصوص بل عليه أن يجتنب شيئا مخصوصا(٢٨٤)

٨٦ ــ قال ابن حجر تحت عنوان «خاتمة»

اشتمل كتاب العلم من الاحاديث المرفوعه على مائة حديث وحديثين، منها في المتابعات بصيغة التعليق وغيرها ثمانية عشر، والتعاليق التى لم يوصلها في مكان آخر أربعة وهي «كتب لأمير السر ية» و «رحل جابر الى عبد الله ابن انيس» و «قصة ضمام في رجوعه الى قومه وحديث انما العلم بالتعلم و باقى ذلك وهو ثمانون حديثا كلها موصوله فالمكرر منها ستة عشر حديثا و بغير تكر ير ار بعة وستون حديثا وقد وافقهُ مسلم على تخريجها الا ستة عشر حديثا وهى الا ربعة المعلقة المذكورة وحديث ابى هر يرة «اذا وُسِدَّ الامر الى غير أهله».. «وحديث ابن عباس اللهم علمه الكتاب» وحديثه في الذبح قبل الرمى وحديث عقبه بن الحارث في شهادة المرضعة وحديث انس في اعادة الكلمة ثلا ثا، وحديث ابى هر يرة «اسعد الناس بالشفاعة» وحديث الز بير «من كذب عليَّ» وحديث سلمة

---

(٢٨٤) الفتح/ ٢٣٣ ــ ٢٣٤

«من تقول عليّ» وحديث عليّ في الصحيفة وحديث ابى هريرة في كونه أكثر الصحابة حديثا وحديث أم سلمة «ماذا أنزل الليلة من الفتن»؟! وحديث ابي هريرة «حفظت وعاءين» والمراد بموافقة مسلم موافقته على تخريج اصل الحديث عن صحابية، وان وقعت بعض المخالفة في بعض السياقات .

وفيه من الا ثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدهم إثنان وعشرون أثرا.. أربعة منها موصولة، والبقية معلقة»

وطرز ابن رشد نهاية مطاف البخارى في كتاب العلم بهذه اللطيفة قال (٢٨٥) ختم البخارى كتاب العلم بباب من اجاب السائل بأكثر مما سأل عنه

اشارة منه الى انه بلغ الغاية في الجواب، عملا بالنصيحة، واعتماداً على النية الصحيحة

واشار قبل ذلك بقليل بترجمة (منْ ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه)الى أنه ربما صنع ذلك فأتبع الطيب بالطيب بأبرع سياق وابدع اتساق رحمه الله ورحم ابن حجر الذى كان أعز اللبنات في بناء المجد العلمي لابى عبد الله« والارواح جنود مجندة»

---

(٢٨٥) ٢٣٥

الفصـــــل الثانـــــى

أحاديث مختارة من كتاب العلم

لـقد أعان الله على تدر يس «كتاب العلم» و «فضائل القرآن» من فتح البـارى شـرح صحيح البخارى لقسم التفسير في الدراسات العليا، السنة الأولى بكلية أصول الدين ــ جامعة الأزهر في العام الدراسى ١٣٩٣/٩٢ هـ..(٢٨٦)

وهأنا اختار من هذه الدراسة حديثى «بينما النبى صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم رواه أبو هر يرة

وحـديـث سـمـعـت معاو ية خطيبا.. رواه حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ــ واودُّ ان اكـون قد قار بت فيهما الصواب وهدانى الله الىماينفع في جلاء حقائقهما الكبرى والهدى هدى الله و به استعين..

الحديث الاول

٨٨ ــ باب من سئل علما وهويشتغل في حديثه....

وتـمـام الترجمة «باب من سئل علما وهويشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ...

٨٩ ــ سند الحديث ومتنه

حـدثـنـا محـمد بن سنان قال: حدثنا فُليَح ح ، وحدثنى ابراهيم بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فليح قال: حدثنى هلال بن على عن عطاء بن يسار عن ابى هر يرة قال:

---

(٢٨٦) الفتح/ ٢٣٥ ــ ٢٣٨

«بينما النبى صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم جاءه أعرابى فقال متى الساعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال أين أُراهُ السائل عن الساعة؟.. قال: ها أنا يارسول الله. قال: فاذا ضُيِّعَتُ الامانة فانتظر الساعة. قال كيف اضاعتها؟ قال: اذا وُسِّدَ الامر الى غير أهله فانتظر الساعة (٢٨٧)

٩٠ ــ تراجم السند

محمد بن سنان

روى عنه البخارى هنا وفي كتاب الرقاق.. قال في الفتح حـ ١ ص ١٥١ «وانما أورده ــ حديث الباب عالياً عن فليح بواسطة محمد بن سنان فقط ثم أورده نازلا بواسطة محمد بن فليح وابراهيم بن المنذر عن محمد لانه أورده في كتاب ــ «الرقاق» عن محمد بن سنان فقط..(٢٨٨)

فلُيح :

هو ابن سليمان الخزاعى الأسلمى ابو يحيى المدنى وفليح لقب مشهور، وهو من طبقة مالك احتج به البخارى وأصحاب السنن وروى له مسلم حديث الافك فقط ــ قال ابن حجر ولم يعتمد عليه البخارى اعتماده على مالك وابن عيينة وأضرابها وانما أخرج له احاديث اكثرها في «المناقب» و بعضها في «الرقاق»..(٢٨٩)

ح ــ اشارة تحويل السند

محمد بن فليح : قال ابن حجر أخرج له البخارى نسخة من روايتة عن أبيه عن هلال بن أميه عن عطاء بن يسار عن أبى هر يرة ــ وهو حديث السياق

---

(٢٨٧) الفتح/ ٢٣٩ ــ ٢٤٠

(٢٨٨) ٢٤٠ ــ ٢٤١

(٢٨٩) الفتح/ ٢٤١

ــ و بعضها عن هلال عن أنس بن مالك توبع على أكثرها عنده، وله نسخة أخرى عنده بهذا الاسناد، لكن عن عبد الرحمن بن ابى عمرة مولى عطاء بن يسار، وقد توبع فيها أيضا وهى ثمانية أحاديث(٢٩٠)

هلال بن أبى هلال :

أو هلال بن على ــ كما هنا ــ أو هلال بن ميمون الجهنى أو الهذلى أبو على الفلسطينى (تذهيب الكمال حـ ٣ ص ١١٩) نشر مكتبة القاهرة.

و يرى ابن حجر أن الثلاثة شخص واحد، وأنه من صغار التابعين وشيخه في هذا الحديث من اوساطهم (٢٩١) وثَّقَهُ ابن معين «تذهيب الكمال حـ ٣/١٢٠» وقال النسائى «ليس به بأس» تذهيب الكمال ٣ ــ ١٢٠ وكذا هو في التهذيب

عطاء بن يسار:

تابعى جليل «الهلالى ابو محمد المدنى أحد الأعلام : عن ميمونة، وابن مسعود وأُبَى بن كعب وأبى ذر ــ وأبى هريرة كما في الحديث ــ وخلق..» وعنه أبو سملة، وحبيب بن أبى ثابت، وأبو جعفر الباقر، وعمرو بن دينار وخلق قال النسائى ثقة (٢٩٢)

٩١ ــ أبو هريرة رضى الله عنه

عبد الرحمن بن صخر الدوسى الصحابى الجليل وهذا الاسم أشهر من عبد الله (٢٩٣) أسلم عام خيبر وشهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لزمه وواظب على شهود مجلسه، واندمج بين أهل الصفة وانتهت اليه رئاستهم، وشغف بالعلم وجد في تحصيله ونالتهُ دعوة رسول الله وحفتهُ بركاته صلى الله عليه وسلم بعد ان غرف له رسول الله بيده في ثوبه الذى بسطه بأمر النبى فما نسى شيئا مما كان

---

(٢٩٠) ص ٢٤٢

(٢٩١) محاضرات مخطوطه معدة للطبع

(٢٩٢) فتح الباري جـ ١ ص ١٥٠ ــ ١٥١

(٢٩٣) الفتح جـ ١ ص ١٥١

يشكو نسيانه الى رسول الله ـــ وقد ضمه وزيد بن ثابت وصحابى آخر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لهم: أدعوا، فدعا زيد وصاحبه وأمنّ رسول الله على دعائهما، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم انى أسألك مثل ماسأل صاحباى، واسألك علما لايُنسى» فأمن النبى صلى الله عليه وسلم. فقالا: ونحن يارسول الله كذلك. فقال: سبقكما الغلام الدوسى.

وكان غزير العلم وافر الحفظ سمع ماكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظ أضعاف ماكتب، قال الحاكم أبو أحمد: ذكر لابي هريرة في مسند بقيّ بن مخلد خمسة الاف حديث وثلاثمائة واربعة وسبعون حديثا فلم يبلغ مبلغه ولا داناه في الرواية أحد من صحابة رسول الله، وكان يستحوذ على اعزاز الصحابة بذلك ويقول ابن عمر «أنت كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحفظنا لحديثه» وحسبك بابن عمر شاهدا..

ويوم قال بعض الصحابة اكثر أبو هريرة، قال «لقد كان يشغل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفق في الأسواق، وكنت اتبع رسول الله على شبع بطنى، فأحضرما لايحضرون وأسمع مالايسمعون .

والحق أنه كان أثيرا عند رسول الله، حتى سأله أن يدعو لأمه فدعا صلوات الله عليه لها فكانت فور دعوته من المؤمنات.

وقد اجمل العلماء عوامل اكثاره في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأخر اسلامه، وقلة مدة صحبته وملازمته له صلوات الله عليه فقالوا:

«انه أفْرغ وسعه في المدة الوجيزة التى أدرك فيها النبى، وانقطع للعلم وحفظه وادرك كبار الصحابة، وتحمل عنهم الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تكامل علمه، وساعده على كثرة الاداء طول عمره ومُكثُهُ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم سبعا واربعين سنة يبلغ الحديث، والوقائع تؤيده، وينشر انسنة والإختبارات تعضده!!

روى عنه اكثر من ثمانمائة بين صحابى وتابعى وهو مستقر في المدينه..
وكان من الصحابة الذين رووا عنه ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس ووائلة وخلق.. وهم شهود امانته وامامته رضى الله عنه وعنهم.

وشهد له ابن عمر بالتفوق، وتتابع الناس على تقديره حتى قال الشافعى رحمه الله «أبو هريرة احفظ من روى الحديث في دهره»

ومات نضَّرَ الله وجهه سنة ثمان وخمسين من الهجرة في المدينة وترحم عليه ابن عمر في جنازته وقال «كان يحفظ على المسلمين حديث النبى صلى الله عليه وسلم»
وصلى عليه الوليد بن عقبه والى المدينة من قبل معاوية

رحم الله أباهرَّ ـ كما كان يحِبُّ ان يُدْعىَ ـ و بصَّرَ اؤلئك الذين تطاولوا و يتطاولون عليه ممن الفوا في لبنان ومصر الكتب المتجنية على الصحابى الجليل وتعليق الشيخ احمد محمد شاكر رحمه الله مفيد في التعريف بأبى هريرة، وفي إماطة اللثام عن أقوام خاصموا الصحابى الجليل ظالمين «مسند الامام أحمد حـ ١٢ ص ٨٣ ومابعدها تعليق الشيخ شاكر.

٨٢ ـ كلمات الحديث لغة واصطلاحا

باب :ـ الباب موضوعه المدخل، فاستعماله في المعانى توسع..

القوم :ـ في الأصل جماعة الرجال دون النساء.. قال الراغب: وحقيقتهُ الرجال لما نَبَّهَ الله عليه بقوله «الرجال قوامون على النساء..» النساء/٣٤ ـ وقد ورد بهذا في قوله تعالى «لايسخر قوم من قوم» الحجرات/١١

وقال إبن الأثير في حـ ٤ : ١٣٤ من النهاية «فليسبح القوم وليصفق النساء» «القوم في الاصل مصدر قام، فوصف به ثم غلب على الرجال دون النساء ولذلك قابلهن به، وسمّو بذلك لأنهم قَوَّامون على النساء بالأمور التى ليس للنساء ان يقمن بها»

و يراد بالقوم، فيا وراء آيتي النساء والحجرات، جماعة الرجال والنساء معا، اذ الجماعة من أي شيىء، يرتبط بعضهم ببعض بروابط دم او نسب أو اجتماع(٢٩٤) والقوم في الحديث بمعنى الرجال والنساء معا، لان قوم كل نبيٍّ رجال ونساء.. وقد ذكر المفسرون أنهن داخلات في قوله تعالى «لايسخرْ قومٌ من قوم» وانما ذكرهن بعد ذلك في قوله «ولانساء من نساء الحجرات/١١ ونصَّ عليهنَّ بخاصة لابراز ظاهرة أن سخريتهن بغيرهن غالبة.. وقد جعل القوم في الرجال خاصة من قال

وما ادرى ولست أخال أدرى اقوم آل حصن أم نساء؟!

أعرابى :

قال ابن الأثير: الأعراب ساكنو البادية من العرب الذين لايقيمون في الأمصار ولا يدخلونها الا لحاجة، والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس، ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية أو المُدُن والنسب اليها أعرابى وعربى » (٢٩٥)

والذى عليه العرف العام اطلاق لفظ العرب على سكان البوادى والامصار، ومثل ذلك في القاموس وغيره من كتب الفقه القديمة و يقول ابو العباس احمد بن عبد الله الشهير بابن ابى غُدة في كتابه «نهاية الأرب» «ان العرب هم اهل الأمصار والاعراب سكان البادية، وفي العرف يطلق العرب على الجميع»(٢٩٦)

بينا :

اصلها بين الظرفية أضيفت اليها ما، وربما ذكرت «بينا» بدون ميم، وأصلها (بين) أشبعت فيها الفتحة، وقد استعملت بينا بدون اذ أو اذا وهو فصيح

(٢٩٤) هدى الساري جـ٢ ص٢٠٣
(٢٩٥) هدى الساري جـ٢ ـ ٢١٠
(٢٩٦) فتح الباري جـ١ ـ ١٥١

الساعة: المراد بها هنا وفي قوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين يوم القيامة، والاصل فيها: قطعة من الزمان، وفي عرف اهل الميقات «الفلك» جزء من اربعة وعشرين جزء من اليوم والليلة(٢٩٧)

والساعة كما قال الراغب «جزء من الزمان» و يعبر بها عن القيامة تنبيها بذلك لسرعة الحساب قال تعالى «وهو اسرع الحاسبين» الأنعام/٦٢ أو لما نبَّه عليه بقوله «كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ» الاحقاف/٣٥ والساعة تطلق على الساعة الكبرى: وهي بعث الناس للمحاسبة.

وعلى الساعة الوسطى: وهى موت أهل القرن الواحد، نحو ماروى أن الرسول رأى عبد الله بن انيس فقال: ان يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة فقيل انه آخر من هلك من الصحابة ــ وعلى الساعة الصغرى: وهي موت الانسان فساعة كل انسان موته ومنه الحديث عند هبوب تخوفت الساعة «يعنى موته!!

وابن حجر في الفتح لم يقف على ماذكر عن ابن انيس وانه آخر من هلك من الصحابة ومتى الساعة؟ استفهام عن الوقت الذى تقوم فيه القيامه لحساب الناس

أين أُرَاهُ السائل..؟ أراه بضم الهمزة أي اظنه وقد ورد بغير شك أين السائلُ.. والسائل بالرفع في الحديث على الحكايه..

الأمانة : ماأوتمنت عليه من ودائع وتكاليف.. قال ابن الاثير «والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمانه..»(٢٩٨) وعندي أنها وعاء الدين وسياج اليقين، و يقول «المقرى الفيومى» أمِنَ بالكسر أمانة فهو أمين، واستعمل المصدر في الأعيان ــ توسعا ــ فقيل: «الوديعة أمانة» والجمع أمانات(٢٩٩) ولقد خص الرسول الامانة هنا باسناد مايتعلق بالدين كالخلافة والقضاء والافتاء الى غير أهله من ذوى الدين الاكفاء.

(٢٩٧) خلاصة تذهيب الكمال جـ٢ ــ ٢٣٢

(٢٩٨) يرجع الشيخ احمد محمد شاكر في تعليق على جـ ١٢ ص ٨٣ من مسند الامام احمد إسم عبد الله.

(٢٩٩) معجم الفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية في القاهرة جـ ٤.

فانتظر الساعة: الفاء للتفريع أو هى في جواب إذا المضمنة معنى الشرط..
وُسِّـــد: أسند، وأصله من الوسادة التي كانت عادتهم أن يثنوها تحت الامير اذا جلس **كيف اضاعتها؟!** السؤال عن الكيفية، والجواب المذكور بالزمان، وقد أجيب عن هذا بأن ذلك متضمن الجواب، أو يفهم منه أن كيفيتها هو التوسيد المذكور..

١٠٥ ــ الشـــرح

٩٣

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه ــ بنور من ربه ــ فيما يرى ان حاجتهم اليه ماسه «ومَاينطقُ عن الهوى ان هو الاوحى يوحى(٣٠٠)

وتتابع حديثة واتصل، يمده فيه وحى مولاه « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما»(٣٠١)

«وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون»(٣٠٢)
ومما أدب الله به المؤمنين «يا أيها الذين آمنو الا تسألوا عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلكم .. (٣٠٣) .

وان من الانصاف ان ندع المحدث يمضى في حديثه ــ وهو اهل الثقة ــ فلا نقاطعه بما يخامرنا من جوانب الموضوع، فاذا انتهى دون ان يتناول مامر بخاطرنا، سألناه ولا حرج ــ وحين سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه عن فرضية الحج ــ «أكلّ عام يارسول الله؟!» تركه الرسول حتى قالها ثلاثا ثم قال «لا ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم» وفي لفظ مسلم:

---

(٣٠٠) جـ٣ ص ٢٠٢ النهاية في غريب الحديث والأثر.
( ) شرح ثلاثيات الامام احمد جـ٢ للسفارني وله كلام في الساعة وسر تسميتها بذلك
(٣٠١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب وفي بلوغ الأرب للألوسى من ذلك ماينفع
(٣٠٢) جـ١ ص ٧١ «البداية في غريب الحديث والأثر»
(٣٠٣) المصباح المنير جـ١ ص ٢٩ تحقيق الأستاذ السقا

«دعوني ماتركتكم فانما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فأتوا منه ماستطعتم» (٣٠٤)

وقال « ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» (٣٠٥)

ولا يتعارض هذا الأدب مع قول الله تعالى «فاسألوا أهل الذكر..» (٣٠٦)

والمسألة نصفُ العلم كما ذكر ابن حجر من كلام الائمة(٣٠٧)

وان الآيات والاحاديث توجب السؤال في الدين وضروريات العلم، بعيدا عن مقاطعة متحدث أو السؤال عما يكون في كشفه افتضاح او سوء حال.

وحديثنا ذلك يقدم درساً في التربية حقيق بأن يؤثر، وإذا كان نبينا صلوات الله عليه أهلا لتفرس خواطر الناس وهو يقول « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» (٣٠٨)

فإن من حق المتحدثين بعده الى يوم القيامة حين يَجِدُّون و يرتفعون إلى ماينفع ان لايقاطعهم من يستمع اليهم، حتى يفرغوا مما هم بسبيله من قول، فإن هذه المقاطعة مع مافيها من اشغاب على الآخرين، ربما شعَّبت على المتحدث وجوه القول، وصرفته عما هو أحق بالمضى فيه من سواه! ولقد مضى الحكيم الكريم صلوات الله عليه يحدث صحابته برغم سؤال من سأله عن القيامة التى يجمع الله في ساحتها الأولين والأخرين.. فلما اتى الرسول صلوات الله عليه من البيان على ماأراد، بادر يسأل عن السائل ويجيبه دون أن يَعْنف به أو يشق عليه!!

---

(٣٠٤) النجم/ ٣ ــ ٤

(٣٠٥) النساء/ ١١٣

(٣٠٦) النحل/ ٤٤

(٣٠٧) المائدة، ١٠١ وتفسير المنار جــ ٧

(٣٠٨) الاعتصام، والاقتداء، الفتح/١٣

ان السؤال عن الساعة ههنا ينطلق من وعى الأعرابى بأنها حقٌ يؤثر ويحذر، وفي الناس من يمارون فيها، و ينكرونها، وفيهم من يذكرونها و يتعللون بالأمانى الكذاب يوم لاشيىء الا الجنة او النار «يستعجل بها الذين لايؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون انها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفى ضلال بعيد» الشورى/١٨..

وانها لواحدة من امور خمسة استأثر الله بعلمها وتكفلت السنة بتفصيلها روى الامام احمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لايعلمهن الا الله(إنّ اللهعنده علم الساعة .../٣٤ الآية لقمان.

و يشرح ابن حجر حديث سؤال جبر يل للنبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة ونورد قول القرطبي المقصود من هذا كفُّ المسلمين عن السؤال عن وقت الساعة لانهم كانوا قد أكثروا السؤال عنها كما ورد في كثيرمن الآيات والاحاديث(٣٠٩)

اسلوب الحكيم

وكم من مرة صرف النبى صلى الله عليه وسلم سائليه عن الساعة بأسلوب الحكيم الى ماهواعم نفعا، واعود فائدة في عاجل وآجل كقوله لأحدهم «فما أعددت لها» حتى قال «المرء مع من أحب»(٣١٠)

وكأن النبى قال لهم «دعوا السؤال عن الساعة وسلوا عن وقت انقضاء أجالكم، فهواحرى أن يبعثكم على العمل.. ورحم الله الامام القرطبى فهويقرر ان لامطمح لأحد في علم شيىء من هذه الامور الخمسة لهذا الحديث الذي نسّر

(٣٠٩) أبوثعلبة الخشني ــ رواه الطبراني مجمع الزوائد ورجاله رجال الصحيح، والمطالب العالية ٧٢/٣
(٣١٠) النحل/ ٤٣

النبى الخمس فى آية لقمان وهو يفسر «وعنده مفاتح الغيب.. الأنعام/٥٩ قال القرطبى «فمن أوتى شيء منها غير مسنده الى رسول الله كان كاذبا في دعواه» (٣١١).

فرق مابين العلم اليقينى والنظرى

يقول الامام القرطبى «وأما ظن الغيب فقد يكون من المنجم أو غيره اذا كان في الأمر العادى، وليس ذلك بعلم ص ١/١٣٢ الفتح» وهذا القول من القرطبى سعة أفق من جهة وهو من جهة أخرى واقعيه تتجد فيما تعطي الارصاد وأجهزة الفلك مما يجيىء كله أو بعضه.. كما قالت.. واعتبار ذلك.. وهو حساب يسد ابواب الاوهام في وجوه لا ترى نور الاسلام ولكنها تذعن لطوارق الحصى وزاجرات الطير وقارئات الكف.. وإبن مسعود رضى الله عنه يقول «أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء سوى هذه الخمس عن ابن عمر مرفوعاً أخرجه أحمد، واخرج حميد بن زنجويه أنه ذكر العلم بوقت الكسوف، فأنكر عليه فقال «انما الغيب خمس وتلا هذه الآية ــ من سورة لقمان ــ وماعدا ذلك غيب يعلمه قوم ويجهله قوم (٣١٢)

ولقد قال العلماء في تردد الصحابة في الحكم على عدم مبادرة النبى صلى الله عليه وسلم الى جواب السّائل كما قال بعضهم «سمع ماقال فكره ماقال» وقال بعضهم لم يسمع..

ان ذلك انما كان بسبب عدم التفات النبى الى السؤال، ولكونه صلى الله عليه وسلم كان يكره السؤال عن هذه المسألة بخصوصها،وقد تبين عدم انحصار. ترك الجواب في الأمرين المذكورين، بل احتمل ان يكون أخره ليكمل الحديث الذي هو فيه، أو أخر جوابه ليُوحَى اليه به (٣١٣)

---

(٣١١) ذكر ابن حجر مما يفيد الحديث «أن العلم سؤال وجواب وقال «وقيل حسن السؤال نصفُ العلم» الفتح جــ ١ ص ١٤٢ ــ السلفية

(٣١٢) رواه أبو أمامه وأخرجه الطبرانى والترمذى وأخرجه الترمذي أيضا من رواية أبي سعيد. وهو بلفظ آخر احذروا دعوة المسلم.. الخ عن أبى نعيم والعسكرى عن ثويان/كشف الخفا.

(٣١٣) في كتاب «الايمان» من الفتح/٦

٩٤ ــ الرفق النبوى

ولقد دعا الرسول السائل فور انتهائه صلوات الله عليه من حديثه، فلما جاءه لم ينهره، ولم يكلفه باعادة سؤاله، وما أن قال «ها أنا يارسول الله حتى قال له» ان الساعة لايسأل عن زمان قيامها، وأنها تعرف ــ في الأحاديث الأخرى ــ بأماراتها الدالة على قرب قياسها» ولقد علم الله نبيه بعض تلكم الأمارات فقال تعالى: «أنفت من ذكراها» على قراءة من وقف على «فيم» في قوله تعالى «يسألونك عن الساعة أبان مرساها، فيم أنت من ذكراها (٣١٤)

وفي حديث الايمان «وسأخبرك عن علاماتها» وحديث لا تقوم الساعة الا على لكع ابن لكع و «حتى يخون الأمين و يؤتمن الخائن» ومن أحاديث اشراط الساعة في كتاب العلم «ان يقل العلم و يظهر الجهل و يظهر الزنى، وتكثر النساء و يقل الرجال..»

ومن الأحاديث التى في «علامات النبوة» لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا أقواما نِعَالُهُمُ الشعر «وتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان فيكون بينهما مقاتلة عظيمة دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يبعث رجالون كذابون، قر يبا من ثلا ثين كل منهم يزعم أنه رسول الله»

وفي كتاب الرقاق شرح لصاحب الفتح يُمِلْي على فيه للقلم قَّ بيان أسلوب الحكيم في دعوة الرسول الرحيم للأعرابى «أين أراه السائل» وفي اجابته له صلوات الله عليه.

٩٥ ــ إنَّ السَّاعة آتيه

ولقد أكد الله قرب قيام الساعة فقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه آيه النحل/١ وفي التعبير بالماضى فيما لم يقع بعد، مايفيد تحقق الوقوع، وقال تعالى «اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون...الأنبياء/١

«اقتربت الساعة وانشق القمر» القمر/١

---

(٣١٤) الفتح/ ١ص ١١٩

وفى السنة «بعثت في نِسمِ الساعة ( ) و يقول ابن الأثير حـ٤ «بعثت في أول اشراط الساعة» «بعثتُ أنا والساعة كهاتين..

ومن كلمات عيسى عليه السلام «فانها كالحامل المتم التى لايدرى أهلها متى تفجؤهم بوضعها ليلا أو نهاراً» ونعى سبحانه على الذين قالوا «ماندرى ما الساعة ان نظن الإ ظناً ومانحن بمستيقنين» الجاثية/٣٢ و بين تعالى شأنه ــ أمر الناس حيالها فقال:

«ومايدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لايؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها و يعلمون أنها الحق الا ان الذين يمارون في الساعة لفى ضلال بعيد «الشورى/١٧ ــ ١٨»

٩٦ ــ الأمانة في الحديث

وخليق بالأمانة ــ تكاليف وخُلُقا.. أن يلفت الرسول إليها الأنظار في هذا الموقف الذى أثار الانتباه وحشد الافكار، وتوجهت إليه فيه البصائر والأبصار. ان الأمانة في قول الله تعالى «أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض...» الأحزاب/٧٢ عامة في التكاليف الالهية.. وهى هنا... في الحديث ــ ضد الخيانة، وهى اصطناع غير الأكفاء الذين لا ترشحهم فضائلهم العلمية والنفسية لعمل هام ــ واذا كانت الخيانة فيما استودع بعض الناس من ودائع، من اشنع الرذائل، وأدلها على خسةِ صاحبها وأثرتة الظالمة وأنانيته الهادمة، وأعودها بالقلق والحيرة وانعدام الثقة بين الناس.. وهى أمور لايرضاها الله ولا تصلح بها حياة.. فان الأمانة ــ بحق ــ من أشرف الفضائل فهى تدنى الناس من الناس، وتجعلهم بحسن المداخلة وكريم المعاملة كالجسد الواحد تماسكا وتعاونا واحساسا، وفى ذلك من سكينة النفس وسعادة الفؤاد ماليس وراءه وراء..

ــ ولقد كان محمد صلوات الله وسلامه عليه «الصادق الأمين» عرفه بذلك قومه قبل الرسالة والاصطفاء، وأجمعت عليه كلمتهم يوم ارتضوه حكما فحقن

الله به دماءهم من يوم الحجر الأسود و بقى القرآن الكريم بعلى من قدر الأمانة وهو يوجبها على المؤمنين بمثل قوله جلت حكمته «ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها..» النساء/٨٨

وان الرسول صلوات الله عليه ليجعل اضاعة الأمانة في هذا الحديث أمارة قرب الساعة بأسلوب الشرط الذى اقترن فيه الجواب بالفاء في جملة فعليه طلبية تحمل من الوعيد مالا يحتاج الى توكيد!!

ولما لم يتفطن الاعرابى الى قول الرسول «اذاضيعت الأمانة فانتظر الساعة» وراح يستوضح رسول الله مالم يفهمه، قائلا «وكيف اضاعتها» جاءه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»

ومراد النبى صلوات الله عليه بهذا الكلام البيِّن على ماعلمت من عادة القوم انهم كانوا اذا جلس أميرهم ثنوا له وسادة تحته.. أي أنه اذا جعل للأمر من الفتيا أو القضاء او الخلافة العامة أو الولاية الخاصة في الجانب الذى ينهض به أهلوه، واحتجن هذه الأمور غير أهلها كان ذلك كما تجعل الوسادة خاصة للأمير، فعند حدوث ذلك و وقوعه وشيوعه تكون الساعة متوقعه!!

و يقول ابن بطال «ان الائمة ائتمنهم الله على عباده وفرض عليهم النصح فاذا قلدوا الأمور غير أهل الدين، فقد ضيعوا الأمانة التى قلدهم الله إياها!!

٩٧ ــ أدب العالم والمتعلم في الحديث

والحديث حجة على بعض المعلمين الذين جعلهم الله أوعية للعلم، وآلسنة للحق، وأعلاما للهدى، وهم مع ذلك يعنُفُون على غير المأمول منهم بالمتعلمين، وربما صدُّوا بعضهم بذلك عن موارد العلم، واذا كانت الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضىً بما يصنع و يستغفر له كل شىء حتى الحيتان في البحر كما قال معلم الناس الخير صلوات الله عليه في غيرما حديث اخرجها ابن

عبد البر بسنده في الجزء الأول من (جامع بيان العلم وفضله) (٣١٥) أفلا يذهب المتعلمون افرادا وجماعات بشيىء من رفق معلميهم الذين يروون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكلمة الطيبة صدقة»

«انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسطُ الوجه وحسن الخلق» ومايسترقُّ قلب الانسان، و يثنى الناس الى الناس شيىء كالاحسان، وهو يتمثل خير مايتمثل في الكلمة اللينة، و بشاشة الوجه عن ثقة و يقين.

بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف اذا جاء القرى وهو ضاحك؟

والعلماء يعرفون من تاريخ الامام البخارى أنه كان جوادا سخيا، وان العلماء من قبله ومن بعده كانوا يتألفون بالعطاء شداة المعرفة وطلبة العلم.. وقد روى الأهدل فى مخطوطه في تاريخ ملوك اليمن وعلمائه «أن الفقيه احمد بن محمد بن يوسف بن فحيص الذى عرف بأحمد معوضة القرشى، كان يباسط تلاميذه وربما أنفق وكسا بعضهم، وقد توفى سنة ست عشرة وثمانمائة للهجرة .

ان كلمة طيبة من الاستاذ تحكم بينه و بين تلاميذه وثاق مودة لاتنفصم عراها، ومازالت الاخلاق تسلس أعنة كان الشيطان يقودها الى الهوى والضلال.. وانها لأخلق بالعلماء ورثة الأنبياء ومصابيح الهدى و ينابيع الرشاد..

وكم نعرف طلاباً كانوا لمعلميهم أبناء أوفياء، عرفانا لما أفادوه منهم من علم وسلوك.. وعسى ان يكون لطلاب العلم ــ ونحن منهم نطلب العلم من المهد الى اللحد، ان شاء الله، بعض عرفان ذلك الأعرابى لقدر العلم وحرصه على التعلم، فانه وان بدا مجاوزا القصد بسؤال النبى وهويُحَدث، فإنه لم يغضب ولم تأخذه العزة بالاثم، ولم يعط عدم رد الرسول من فوره عليه، معنىً ضخما، يدع به المجلس، ويحسبه انتقاصًا لكرامته، وهضما لشرفه، ولكنه انتظر لم يطل انتظاره حتى دعاه الرسول إليه، وأجابه عما سأل في نور من قول الله تعالى في مصطفاه.

---

(٣١٥) متفق عليه عن أنس «كشف الخفا ٢٠٢/ وهو عن عبد الله في رواية أخرى وكلاهما في جـ١٦ ص ١٨٦ ــ ١٨٨ النووي على مسلم

«لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءووف رحيم» التوبة /١٢٩ وما كان اعظم شجاعة الرجل النفسية حين لم يفهم قول رسول الله «إذا ضيعت الأمانة.» انه لم يخدع نفسه، ولم يتحرج من الاستفسار عن كيفية إضاعة الأمانة .

روى الامام البخارى في باب «الحياء في العلم » قول مجاهد لايتعلم العلم مستحي ولا مستكبر (٣١٦) وروى احاديث منها «نعم النساء نساء الانصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهنَّ في الدين (٣١٧)

ان الحياء والكبر واباء خفض الجناح للعلم، والانصراف اليه عن بعض نوافل الطاعات فضلا عن الشواغل الأخرى، مضيعة للعلم ـ أشرف مايقتنى وأنفس مايجاهد في سبيله عاقل ويجالد، و ينفق فى تحصيله كلال ليله ونهاره.. ورحم الله ابن الجوزى، عالم الآفاق ، وواعظ العراق، فهويقول في يواقيته :

«ان العلم لايحصل الا بالنصب، والمال لايجمع الا بالتعب، واسم الجواد لايدركه بخيل، ولايلقب بالشجاع الا بعد تعب طويل ».

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر، والاقدام قتال .

ولله در القائل

وقالوا كيف حالك. قلت خيرا   تُقَضَّى حاجةٌ، وتفوت حاجُ

اذا ازدحمت هموم الصدر قلنا   عسى يوم يكون له انفراجُ

نديمى قطتى، وأنيس بيتي   دفاتر لى، ومعشوقى السراج

حاج .. جمع حاجه.

والله ينير لنا طرق العلم به و بنبيه، وبما شرع سبحانه لصلاح الحياتين .. امين .

---

(٣١٦) الفتح ١/ ١٣٢

(٣١٧) الفتح حـ١ ص ١٣٢

٩٨ ــ مايُستفاد من الحديث

١ ــ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اداء المهمة غير آبهٍ لسؤال ليس في تأخيره ضرر.

٢ ــ رفقه بالمتعلم.

٣ ــ أن لايسأل المتعلم المعلم وهو يشتغل بغيره لأن حق الأول مقدم.

٤ ــ مراجعة العالم حتى يفهم السائل مالم يفهم.

٥ ــ التثبت من كفاءة من يَلُونَ أمر الناس في دينهم ودنياهم حتى لا تصير هذه الأمور الماسة لمن ليسوا لها أهلا وفى ذلك ايذان بانتهاء الحياة وقيام الساعة.

٩٩ ــ مراجع البحث فى هذا الحديث

١ ــ القرآن الكريم وكتب تفسير ابن كثير والمنار.

٢ ــ فتح البارى، وهدى السارى لابن حجر، وشرح الزبيدى للشرفاوى، وشرح العيني والكرمانى. ومسند الامام أحمد وصحيح الامام مسلم بشرح النووى.

٣ ــ كتب الرجال الاصابه لابن حجر، والاستيعاب لابن عبد البر.

٤ ــ النهاية فى غريب الحديث والأثر.. لابن الأثير، مخطوط الأهدل، المصباح المنير، وغيرها من كتب اللغة كمفردات الراغب ومعجم الفاظ القرآن لمجمع اللغه بالقاهرة.

٥ ــ كتب «بلوغ الأَرب» للألوسى» ونهاية الأرب لابن أبى غدة.

الحديث الثانى

باب «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»

١٠٠ ــ السند والمتن :

حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب قال، قال حميد بن عبد الرحمن سمعت معاو ية خطيبا يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وانما انا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرها من خالفها حتى يأتى أمر الله»(٣١٨) .

.. الترجمة والحديث متطابقان، وفى الحديث ز يادة بيان حال الرسول فى أداء رسالته، وحال الأمة المستمسكة بدين الله ..

١٠١ ــ تراجم السند :

سعيد بن عفير .. هو هكذا فى السند، وسماه ابن حجر « سعيد بن كثير بن عفير، نسبة الى جده ، وقال الخزرجى «سعيد بن كثير بن عفير مصغراً (٣١٩) مولاهم ابو عثمان المصرى الحافظ - التقر يب ص ٣٨٨ ص ١٢٥ لابن حجر.. روى عن ابن وهب والليث ومالك، وعنه البخارى.. كما هنا - وأبو بكر الصاغانى - محمد بن اسحق - وعثمان بن خُرَّزَاده .. كما ذكر الشيخ فايد فى تعليقه على الخزرجى قال إبن عدى صدوق ثقة،وكان من أعْلم الناس، بالانساب - كما قال ابن يونس - اديبا فصيحا مات سنة ست وعشر ين ومائتين(٣٢٠).

ابن وهب :

(٣١٨) المصدر السابق ص ١٥١

(٣١٩) النازعات/ ٤١ ــ ٤٣

(٣٢٠) ص ٣٨ ــ ٤٠ وقال رواه ابن ماجه وابن حبان، ورواه الترمذي والحاكم وصححه

حدث عنه البخارى ههنا بواسطة سعيد، وحدث عنه في غيرما بابٍ في غير هذا الكتاب حدثنا احمد عن ابن وهب «كتاب رفع الصوت فى المساجد» و «باب اذا قام الرجل عن يسار الامام فحوله» واختلفوا هل هو احمد بن عبد الرحمن بن وهب وثقوهُ «المتوفى ٢٦٤هـ كما فى الخلاصة أو هو ابن أخى ابن وهبٍ كما فى التقريب » (٣٢١)

يونس :

صاحب الزهرى هو يونس بن يزيد الأيلى .. كما قال ابن حجر- يقول ابن معين فيه : أثبتُ الناس في الزهرى: مالك ومعمر و يونس وعقيل وشعيب» واحمد بن صالح يقول «نحن لانقدم على يونس في الزهري أحداً، وذكر كلاماً فيه جرح له حتى قال : وثقهُ الجهور مطلقاً وذكر وجه من خالفوه، وضعَّفوا يونس، وانتهى بايراد من وثقوه ومنهم الامام احمد (٣٢٢) .

ابن شهاب :

صاحب الفضل في تدوين السنة محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبدالله بن شهاب بن زهرة الكلابي القرشى الزهري المدنى ولد سنة ٥٠ هـ، وهو من رءوس الرابعة وخليق بقولهم «لولا الزهري لضاع كثير من السنن متفق على جلالته واتقانه وكنيته ابو بكر وتوفى في رمضان سنة أربع وعشرين ومائة(٣٢٣).

حميد بن عبدالرحمن

حميد بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى المدنى ثقة من الثانية «التقريب / ٨٤ ووثقة ابو زرعة عن أمه أم كلثوم بنت عقبه وخاله عثمان وطائفه وعن إبنه عبد الرحمن وابن أخيه سعد والزهري كما فى الخلاصة حـ ١ ص ٢٥٩.

---

(٣٢١) ص ٢٣٩ جـ ١ فتح الباري قال ابن حجر وقول مجاهد وصله ابو نعيم في الحلية من طريق على بن المدينى بسنده وهو اسناد صحيح على شرط المصنف..

(٣٢٢) ذكره البخاري معلقا في ترجمته «كتاب الحياء» و وصله مسلم في كتاب الحيض «شرح النووي جـ ٤ ص١٦ غسل الحيض.

(٣٢٣) الفتح/ ١ من ١٧٣ — ١٧٤

١٠٢ ــ معاوية رضى الله عنه :

الصحابى الجليل معاو يه بن أبى سفيان بن حرب بن صخر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى أمير المؤمنين .

ولد قبل الهجرة بخمس سنين فى أشهر الأقوال، وأسلم عام الفتح وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وفي رواية الواقدى أنه اسلم بعد الحديبية، وكتم اسلامه فلم يعلنه الا يوم الفتح، وكان يكتب الوحى، (٣٢٤) وقد اسلم بين يدي النبى صلى الله عليه وسلم ـ ولايعارض رواية الواقدى من اسلامه بعد الحديبية، وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً))، ما روى عن سعد بن أبى وقاص فى الصحيح أن سعداً قال عن هذه العمرة ((لقد فعلناها وهذا ـ معاو ية ـ كافر !

ويحتمل أن سعداً ما كان يدرى بما أخفاه معاو يه من أمر اسلامه، وأرسل قوله بحسب ما استصحبه من حاله .

وكان معاو ية بادى الذكاء منذ طفولته، يرى فيه كل من رآه سمات النجابة ، وأمارات اتقاد الذهن. اخرج البغوى بسنده عن أبان بن عثمان ((كان معاو ية يمشى وهو غلام مع أمه، اذ عثر . فقالت : قم لارفعك الله.. فقال لها اعرابى : لم تقولين له هذا؟! والله أنى لأراه سيسود قومه!!فقالت؛لا رفعه الله ان لم يسد الا قومه))

فليس عجباً أن تقرأ في روايات أخرى ذكرها صاحب الاصابة عن ابن سعد عن المدائنى قال : ((نظر أبو سفيان الى معاو ية وهو غلام فقال : ان ابني هذا العظيم الرأس، وانه لخليق أن يسود قومه فقالت هند : قومه فقط ؟ ثكلته ان لم يسد العرب قاطبة .. (٣٢٥)

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ((ما رأيت أحدا أحلى للملك من معاو ية وابن عباس لايعطى حكمه على ظواهر جسميه ولا لمجرد ملامح نفسيه فحسب، ولكنه يراه فقيهاً عالماً.

---

(٣٢٤) الفتح/ ١٧٣ والخلاصة/ ١ ص ٣٨٨

(٣٢٥) الخلاصة تعليق الشيخ فايد جــ١ ص ٣٤٤

روى البخارى بسنده عن عكرمة قلت لابن عباس : «إن معاو ية أوتر بركعةٍ» فقال «انه فقيه» وحسبك بابن عباس متحدثاً !

صحب معاو ية النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول لقد أسلمت قبل عمرة الحديبية، ولكنى كنت أخاف أن أخرج الى المدينة، لأن أمى كانت تقول : «ان خرجت قُطِعْتَ وكان يقول «اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء، فلما توضأ نظر الىّ فقال «يامعاو ية .. ان وليت أمراً فاتق الله واعدل »
فمازلت أظن انى مُبْتلًى» (٣٢٦)

ولقد روى كثيرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ومما لم يروه الا معاو ية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الخير عادة، والشر لجاجة» (٣٢٧)... وروى معاو ية عن ابي بكر وعمر وعثمان واخته أم حبيبه أم المؤمنين . وروى عنه من الصحابة ابن عباس جر ير البجلي ومعاو ية بن خديج والسائب بن يز يد وعبدالله بن الز بير، والنعمان بن بشير، وغيرهم من كبار التابعين جم غفير من الرجال وله في البخاري ثمانية احاديث منها هذا الحديث ..

وكان عمر يقول اذا رآى معاو يه «هذا كسرى العرب»

وروى ابن المبارك في كتاب الزهد عن أسلم مولى عمر قال : «قدم علينا معاو ية، وهو ابهى الناس وأجملهم، فخرج الى الحج مع عمر بن الخطاب، وكان عمر ينظر اليه فيتعجب منه، ثم يضع اصبعه على جبينه، ثم يرفعها عن مثل الشراك(٣٢٨) فيقول :

«بخ .. بخ إذا نحن خير الناس أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة»

فقال معاو ية : ياأمير المؤمنين إنا بأرض الحمامات والر يف.. فقال عمر: «سأحدثك مابك الطافك بنفسك بألطف الطعام، وتصبحك حتى تضرب الشمس جنبيك وذو وا الحاجات وراء الباب» قال حتى جئنا ذا طوى فأخرج

---

(٣٢٦) هدى الساري جـ ٢/ ٢٢٦ والتقريب طبعة باكستان دار النشر الاسلامية ص ١٤

(٣٢٧) جـ ٢ ص ٢٥٩ الخلاصة تعليق الشيخ فايد.. وهو في التقريب لابن حجر «من كبار السابعة»

(٣٢٨) اقرأ في ابن شهاب تذكرة الحفاظ للذهبى الطبعة الرابعة ص ١٠٨ والخلاصة ص ٤٥٧ جـ ٢

معاوية حلة فلبسها، فوجد عمر منها ريحاً كأنه ريح طيب.. فقال! يعمَدُ أحدكم فيخرج حاجاً تفلاً (٣٢٩) حتى اذا جاء بلدان الله حرمة، اخرج ثوبيه كأنهما كانا فى الطيب فلبسهما. فقال له معاوية : أنما لبستهما لأدخل بهما على عشيرتى. ياعمر والله لقد بلغنى أذاك ههنا وبالشام فالله يعلم أن لقد عرفت الحياء فى عمر، فنزع معاوية الثوبين، ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما.. قال ابن حجر: وهذا سند قوى .

وكان معاوية فى الشام مع أخيه يزيد بن أبى سفيان، وولاه عمر الشام بعد يزيد، وثبته عثمان على ذلك، ثم استمر فى الشام فلم يبايع علياً،ثم حارَبَه، واستقل بالشام، ثم اضاف اليها مصر، ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين، ثم استقل لما صالح، فاجتمع عليه الناس، وسمى ذلك العام عام الجماعة .

وكان معاوية حلما وقوراً فصيحاً قوى الحجة، وكان ابوسفيان يذعن لحجته.. وما أنسى قوله لأبيه وقد أستأذن بلال وأبوسفيان على عمر.. وقال الأذن لأمير المؤمنين: بالباب أبوسفيان وبلال . فقال له عمر مغضباً: قل بالباب بلال وأبوسفيان، ثم أذن لبلال ..

وكان معاوية فى مجلس عمر.. فعرف مايصنع ذلك بأبيه، وهو يحسب حساب شرفه في عبد شمس.. فخرج معاوية من فوره فوجد أباه ثائرا عاضبا .. فقال له : لعلك أخذت على أمير المؤمنين أنه أذن لبلال وخلاَّكَ ..

ان الله تعالى بعث رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، فآمن بلال وكفرت وسبق وتأخرت، وانما قدّم امير المؤمنين بلالا بالاسلام والقرآن ولو قدمك لقدمك بعبد شمس، أفترضى أن تسبق عبد شمس الاسلام . والقرآن؟.. واذا كنت تجد على أمير المؤمنين لذلك، فماذا أنت فاعل يوم القيامة حين يأذنُ الله لبلال فيسبقك الى الجنة ؟!

(٣٢٩) في غير ما موضع في الإصابة عند الامام احمد بن مسلم.

فأذهب ذلك القول القاصد الحكيم غضب أبى سفيان، ونهنه من خنزوانته، ودعا لابنه بخير، وقال.. «والله لو وجدت بلالا في احدى سكك المدينة بعد اليوم ماوسعنى أن أتقدم عليه»!!

والتاريخ يذكر لمعاويه وبنى أمية مواقف مع أهل البيت، تثير فى أنفسنا شيئا من الأسى واللوعة، ولكننا نفييء أمامها مسرعين الىوصاةرسول الله صلوات الله عليه بالقصد فى تناول أصحابه بخاصة، وبالاعراض عن مساوىء المسلمين بعامة وهو يقول «اذكروا محاسن موتاكم، وكفوا عن مساويهم» كشف الخفا ص ١٠٥ جـ١ وهو عند أبى داود والترمذى والطبرانى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما وعن عائشة مرفوعا في البخارى فى الجنائز، والرقاق بلفظ «لا تسبوا الأموات فانهم افضوا الى ماقدموا» .

فليكن ذلك سبيلنا أبدا، وليتق الله اخوة يشرعون أقلاماً جافيه جاسية في علماء وأوائل على نحو يظهر فيه الهوى، وليتهم يذكرون عظة القائل .

لا تظلموا الموتى، وان طال المدى   اني أخاف عليكمو أن تقبروا

ولا ادري، أليس لهؤلاء الذين تنهشهم هذه الأقلام وهى ماتذكر من معايبهم.. ورحمتك اللهم وغفرانك.. اليس لهؤلاء حسنة تذكر؟ اوفضلٌ يؤثر؟! أم آن في دنيا الناس عيونا لا ترى الا النقائص ؟! وليس لها فى المحامد مراد ولا مصلحة!!

ونسأل الله أن يرفعنا الى مستوى احسان من أحسنوا، وأن يعصمنا من الانزلاق في مثل ما واجهوا من فتن ومحن «وفى الحديث الذي رواه عمرو بن العاص، وهو فى البخاري فى «الاعتصام بالكتاب والسنة» «اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر»

واتوقف عند هذا الحد من أمير المؤمنين معاوية الى لقاء أسأل الله ان يعين عليه وفاء بموعدة لشيخ جليل أن اتتبع فى امهات سماها، وأحسن ظنه بى حين ترك لى اخيتارسواها معها، لاستخلاص ما فيها من كلام عن الخلفاء الأربعة ومعاوية رضى الله عن الجميع، وعنا معهم بفضل منه وإحسان .

يرد : بضم الياء المثناه: وكسر الراء من الارادة، وهى تخصيص أحد طرفى الممكن بالوقوع.. قال صاحب القاموس في باب الدال فصل الراء «الرود الطلب.. كالرياد والارتياد والذهاب والمجىء، والمراودة والرياد والريد بكسر الراء فيهما.. والارادة : المشيئة والميل الى الشيء، وهي بهذا المعنى حيث وقعت في القرآن الكريم من كلام الله أو من حكاية قول غيره ممن تتأتى منه الارادة وتأتى بمعنى المشارفة والمداناة مما لاارادة له على سبيل التوسع ومنه قوله تعالى «فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقض فأقامه» الكهف / ٧٧ »(٣٣٠)

خيرا: الخير مافيه المنفع والصلاح والبركة والنماء.. وهو ضد الشر.. وهو فى الحديث منكّر يفيد التعميم او التعظيم وقد رجح الاخير إبن حجر لاقتضاء المقام .

يفقهه: يفهمه، فالفقه فى اللغة : الفهم و يقال فقه الرجل بكسر القاف يفقه بفتحها فقها اذا فهم كعلم يعلم علما.

وفقُه بضم القاف في الماضى والمضارع كشرف يشرف اذا صار الفقه له سجيه. وفقه بفتح القاف في الماضى والمضارع كبعث يبعث اذا سبق غيره الى الفهم .

وفي معجم الفاظ القرآن الكريم جـ ٤ ، واشتقاق الصفه من الشق والفتح .. حتى قال : «وتفقه صار عالما بالفقه أى علم الدين، وقد غلب الفقه على علم الدين كما غلب النجم على الثريا، وزاد تخصيصا بعلم الفروع منها وهو تخصيص متأخر »(٣٣١)

---

(٣٣٠) اقرأ كلمة ابن عبد البر عنه في الإصابة

(٣٣١) أخرجه البيهقى في الشمائل وغيره وقال ابن حجر في الإصابة فى رواية سويد مقال..

الدين: كلمة تؤخذ من فعل متعد بنفسه «دانه يدينه» أى ملكه وحكمه، ولعل منه الحديث «الكيس من دان نفسه..» أى ضبطها وحكمها والله «الديان» القاضى بين عباده .. وتؤخذ تارة من فعل متعد باللام «دان له..» أى أطاعه وخضع له فالدين هنا العبادة والطاعة وكلمة «الدين لله تعنى» الحكم لله والخضوع له «وتؤخذ من فعل متعد بالباء» «دان به».

و يكون المعنى «اتخذه دينا ومذهباً» أى اعتقده واعتمده وتخلق به.. والمادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد..

والانقياد للدين الذى هو وضع الهى سائق ـ لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل «وقد يكون أوضح من هذا التعريف الفلسفى أن الدين هو «وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات» كما قال الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله (٣٣٢)

الأمة : لها معان منها ـ الرجل الجامع للخير، ولعل منه قوله تعالى «ان ابراهيم كان أمة» النحل /١٢٠، والقائم مقام جماعة، ومن هو على الحق مخالف لسائر الأديان ـ والجيل من كل حى، انسانا أو حيوانا. ومنه الحديث «لولا ان الكلاب أمة تسبح لأمرت بقتلها».

والطائفة من الناس . ومنه «وجد عليه أمة من الناس يسقون» القصص / ٢٣ والطائفة من الزمان «وادّكر بعد أمة » يوسف / ٤٥

والطريق والمذهب والطاعة «انا وجدنا آباءنا على أمة » الزخرف / ٢٢ /٢٣ .

---

(٣٣٢) الإصابة عن ابن أبي داود بسنده..

قائمة على أمر الله: يقال قام على الأمر اذا دام وثبت عليه «أساس البلاغة للزمخشرى»

أمر الله : دينه ، والحق الذى أنهاه رسول الله الى البشرية و بلغه عن ربه تبارك وتعالى .

وأمر الله في قوله حتى يأتى أمر الله «القيامة كما وردت في بعض روايات الحديث أو هو الريح التى يقبض الله بها كل من فى قلبه شىء من الايمان .

شرح الحديث

يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث فضل العلم بعامة، والفقه فى الدين بخاصة . ان الخير كله فى تعلم قواعد الاسلام، ومايتصل بها من الفروع، وماوراءها من هدايات الدين الذي لابد من اعتباره فى القمة بين مقومات الأمة، وضرورات الحياة كلها.

وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب من الشرط «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين» يقول : «إنَّ من لم يتفقه فى الدين على ذلك الاساس فقد حرم الخير كله! وذلك حق، فمن لم يعرف أمور دينه بالقدر الذي تصح به عقيدته، وتصلح عبادته ويحسن سلوكه، و يستقيم فهمه لظواهر الضرورى من الشئون، لايكون فقيها، ولا طالب علم، و يصح وصفه بأنه ما أريد به الخير، وان سبق وحلق في مجالات السعة والدعة والاختراع ومن هذا المنطلق يبدو فضل هؤلاء العلماء على سائر من دونهم، لفضل الفقه فى الدين، وانعام النظر فى مَصْدَرَيْهِ وفيما وراءهما من الأصول المعتبرة . .

قال ابو حفص عمر رضوان الله عليه «تعلموا قبل ان تُسَوَّدوا» وهو اثر ترجم.. به الامام البخاري فى احدى تراجمه (٣٣٣) و يريد به عمر رضوان الله عليه ان يكون للفقه فى الدين الصدارة، وان يكون البادرة الأولى في قدرة المرء على الفهم

(٣٣٣) الشراك مايُرى فى وجه النعل وهو بيان ههنا للبضامنة ومظهر التنعم في معاوية من النهاية لابن الاثير ص٤٦٧/ ٤٦٨ جـ ٢

والاستيعاب قبل أن تشغل الشواغل وتتصل الأعمال والتكاليف فيستعصى الفهم بعد أوانه، وانقضاء زمانه، وان كنا نطلب العلم من المهد الى اللحد، فما للعلم حد يتوقف عنده طلابه، ولاغايه ينطوى لديها كتابه، ولايزال المرء عالما ماطلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل»

واذكر من كتاب «روضة المحبين» للامام بن قيم الجوزية أن أحد العلماء سأل تلميذه ان يعيد عليه ــ وهو في السكرات، قضية من قضايا الميراث، فقال التلميذ: وانت على تلك الحال؟ فقال الشيخ: الا يكون خيرا ان ألقى ربى وأنا أعلمها؟! فكانت آخر ماسمع!! وفي مخطوطى «اعرفوا انفسكم في هذه الاضواء(٣٣٤) طرائف واعية من مكانة العلم وتوفر الأولين عليه ومنها ماقال إبن قيم الجوزية رحمه الله: وأما عشاق العلم فأعظم شغفا به وعشقاله من كل عاشق لمعشوقه.. وكثيرمنه لايشغله عنه اجمل صورة من البشر!!

وقيل لامرأة الزبير بن بكار أوغيره (٣٣٥) هنيئا لك اذ ليست لك ضرة.. فقالت « والله لهذه الكتب اضر على من عدة ضرائر » أو أشد على من ثلاث ضرائر كما فى قول غيرها!!

قال ابن قيم «وحدثنى اخو شيخنا عبدالرحمن بن يتميّة عن أبيه قال: «كان الجد اذا دخل الخلاء يقول لى اقرأ فى هذا الكتاب وارفع صوتك حتى أسمع »(٣٣٦)

وكان الحرص على العلم والتزود من الفقه والفهم سمة الأبرار، وهذا موسى عليه الصلاة والسلام كليم الله لم يكتف بما علم، ولا اشتفى بما حَصَّل، ولكنه قال للعبد الصالح ..

---

(٣٣٤) تَفِلاً مهملا ثوبه وشعره وفي النهاية لابن الأثير جـ١ ص ١٩١ ترك استعمال الطيب والتفل هو الريح الكريه...

(٣٣٥) جـ١

(٣٣٦) لمجمع اللغة العربية ــ القاهرة.

«هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا» (٣٣٧)

وكان من ضراعات بعض العارفين «اللهم اجعلنى ممن قرأ ليعلم، وعلم ليعمل، وعمل فتقبل منه».

ومادام العلم متسع الجوانب، فلنكن معه كما قال ابن سير ين : «العلم أكثر من أن يحاط به، فخذ من كل شيء أحسنه» ولله در من قال

يلومونني أن رحت للعلم طالبا أجمع من عند الرواةِ فنونه
واكتب أبكار العلوم عيونها وآخذ مما استفيد عيونه

ولتكن تقوى الله زادنا ونحن نجد فى الطلب، ونجنى الثمار من ر ياض العلم والأدب، غير آبهين بالأشواك، ولامتقاعسين عن دراك خير ماهناك، في فرصة ان فاقنت دون ذلك أعقبت أوجع غصه «واتقوا الله و يعلمكم الله»(٣٣٨).

ان الفقه فى الإسلام عقيدةً وعبادة وسلوكا، والنظر المتأمل فى الكتاب الذي هو حجةُ الله على من بلغ، واستكناه حديث الرسول وسنته وآثار صحابته، انما هى انطلاقة برة لادراك حقيقة الرسالات السماو ية، وفهم الحياة بالقدر الذي نملك له، القدرة على ابلاغها ــ بعون الله، الكمال البشرى، ونقيم به الدليل العملى على أننا أحقاء بالخلافة عن الله في ملكه وخلقه..

والنبي صلوات الله عليه يُخبر ان هذا العلم لايدرك بالاكتساب وحده، ولاينال بمجرد الطلب حتى يفتح الله به و يعين عليه، فهو صلوات الله عليه يبلغ أصحابه وحى الله اليه، لا يخصُ فيما أمر بتبليغه قبيلا دون قبيل، لانه قاسم ومبلغ «ان عليك الا البلاغ» (٣٣٩) و يعطى الله كل واحد ممن بلغهم رسوله، أو بلغهم قوله الى يوم القيامه ما أراد لهم سبحانه من الفهم والعلم، فالتفاوتُ فى الأفهام

---

(٣٣٧) كتاب «المين» للدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله

(٣٣٨) «باب الاغتباط في العلم والحكمة (ص/ ١٦٥ جـ ١ الفتح ــ السلفية

(٣٣٩) مخطوط معد للطبع وهو قطوف مختارة في شتى جوانب العلم منسوبة الى أصحابها.

انما هو من الله، ولن يزال الناس على ذلك منذ صحابه رسول الله وتابعيهم حتى آخر الزمان، وتبدو جوانب من العلم، ومسائل واستنباطات اكثر وأكثر مما بدا من قبل «وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها»(٣٤٠)

وقد راى بعض العلماء ان الواو فى قوله صلى الله عليه وسلم «وانما أنا قاسم .. » للحال من فاعل يفقهه فيكون المعنى ان الله يعطى كلا ممن اراد أن يفقهه استعدادا يدرك به ماقدره الله له من فهم المعانى، ثم يلهمنى بالقاء ماهو لائق باستعداد كل واحد».. وذلك فهمٌ معقول ومقبول .

ويحصر بعض العلماء القسمة فى قسمة المال لأن مورد الحديث كان عند قسمة مال، فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض صحابته بزيادة عن الآخرين، لمتقضيات نبوية، فلمّا راجع بعضهم فى هذا الاختصاص الذى لم تبدلهم حكمته، جاءهم البيان الصادق «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» أى يزدهُ فهما فى أمر الشرع حتى لايعترض أو يتعرض لأمرٍ جرى على غير ما رأى، اذ الأمر كله لله يعطى ويمنع و يزيد و ينقص وهو صلوات الله عليه قاسم؟ بأمر مولاه، وليس بمعط حتى تنسب اليه الزيادة او النقصان .. فالمعنى على القولين «وانما الله يعطى ، وأنا قاسم ما أعطاه و بلغنى عنه» والنبى صلى الله عليه وسلم يخبر وهو الصادق أن من يفتح الله عليه بالفقه فى الدين واكتساب ما أعطاه الله مما بلغه مصطفاه، لايخلو منهم زمان، وأن جنسهم لايزال موجودا حتى يأتى أمر الله .

وأمر الله فى قوله «قائمة على أمر الله » قد مرَّ بين يديك أنه الحق الذي أدى رسالته وأتم بناءه النبى صلى الله عليه وسلم، والطائفة الظاهرون على الحق، لايعيق مسيرتهم خلاف أقوام اتخذوا إلٰههم هواهم وكانوا سدنة الشر في مرحلة من مراحل الحياة وراء مرحلة، فالحق ظاهر ظافر «ومايبدىء الباطل ومايعيد» .(٣٤١)

---

(٣٤٠) أذكر أنها امرأة ابن رشد كما ذكر ابن خلكان.

(٣٤١) روضة المحبين ص ٦٨

وقد استشكل بعض العلماء في حقيقة أن تكون «حتى يأتى أمر الله» غاية لقوله «ولن تزال.. وأجيب بأن المراد في قوله قائمة على أمر الله» التكاليف و يوم القيامة ليس زمان تكاليف.

وبأن المراد بالغاية تأكيد التأبيد على حد قوله تعالى «مادامت السموات والأرض..(٣٤٢) كأنه قال «ولن تزال الأمة قائمة على أمر الله أبدا.. «و يصح أن تكون لقوله» لايضرهم من خالفهم، و يكون المعنى لإ تيان أمر الله، القيامة، والغاية لتأكيد عدم المضرة أى لايضرهم أبدا أو بلاء الله.. والمعنى «حتى يأتى بلاء الله فيضرهم حينئذ »

فيكون ما بعد حتى مغايراً لما قبلها، والمراد ببلاء الله فتنة الدجال فانها ربما ضرت بعض الأمة فى دينهم والعياذ بالله .

أو يكون المراد بأمر الله الريح اللينة التى تأتي قبل يوم القيامة فتقبض روح كل مؤمن ومؤمنة فتكون الغاية ــ كما أسلفت ــ تأكيد التأبيد.. ولايبقى تعارض بين هذا الحديث وأحاديث «لا تقوم الساعة حتى لايقول أحد الله الله» و «لا تقوم الساعة الا على شرار الناس.»

فبأن هذين الحديثين يتحقق مافيها عند القيامة، أما الريح فتأتى قريبا من القيامة.. ومع ذلك كله لايغيب أن المراد بالأمة بعضها لا كلها كما وردت النصوص بذلك و بعد.. فكم رصدت لاعلاء الباطل أموال، وشمرت دول ورجال وصرخت أبواق ودقت طبول، ثم اضمحل كل ذلك وزال، و بقى للحق سلطانه، وللخير شموخه وصولجانه «ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الي جهنم يحشرون» (٣٤٣).

وكم يُدمى القلوب ان يخالف عن أمر الله اقوام يحسبون من أهله، وقد يكون جدهم في الاشغاب عليه اكثر من جد الأعداء وكيد الخصوم الذين قد

(٣٤٢) الكهف/٦٦

(٣٤٣) البقرة/٢٨٢

يكون منهم من ينصف الحق في ساعة من ساعات صحو الضمير، وصدق الاحساس والشعور، فيكون الدين القيم وأهله بين هؤلاء واؤلئك كالذى قال

أصديقى يود أنى أُساءُ وعدوى يُظنُ فيه الوفاء
عُكس الأمر لامحالة لكن ربما أنجد الغريق الماء !!

وانها لمحنة في دين هؤلاء وأخلاقهم تبرز من خلال مايقولون ومايكتبون ان شعرنا معها بشعور الذي قال

وظلم ذوى القربى أشدُّ مضاضةً على النفس عن وَقْع الحسام المهند

فان يقيننا يربو بأن الحق لابد ان ينتصر، وأن مَدَّ الباطل سرعان ماينحسر والحق أبلج والباطل لجلج.

«أَفَمَنْ يهدى إلى الحق أَحَقّ ان يُتَّبع امَّنْ لايَهِدّيِ الا أن يُهْدَىَ فمالكم كيف تحكمون (٣٤٤).

مت بداء الهوى والا فخاطر وارقب الحي والعيون نواظر
لاتخف وحشه الطريق اذا سر ت، وكن في خفارة الحق سائرا!

«ومن يؤمن بالله يهد قلبه»(٣٤٥)
«ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم»(٣٤٦)

١٠٥ ـ أما بعد

فلقد كنت اود ان يخلص هذا البحث كله «مع الامام البخارى» وفي «كتاب العلم» من صحيحه بخاصة، و بخاصة لأن ذلك الموضوع مايزال قابلا للبحث، ومجالا للدراسة والنظر، وعسى الله أن يعين على ذلك.

---

(٣٤٤) الشوري/ ٤٨
(٣٤٥) النمل/ ٩٣
(٣٤٦) سبأ/ ٤٩

لكننى رأيت أن من الضروري لبحث كهذا، أن يتقدمه كلام عن السنة ودواعـى تـدو ينها، فى زمن يشغبُ فيه عليها، من لم يتوفروا على دراستها فضلا عن أن يـكونوا ممن أعطوا قلوبهم وعقولهم لسنة المصطفى صلوات الله عليه، فحفظوا منها الكثير، وعرفوا مكانها من الدين الخاتم.

لـكـن الـذيـن لم يـفـعـلـوا شيئا من ذلك اجترأوا على سنة خير المرسلين، ومعذرةً ان قدمت الفصول الأولى في حديث مع هؤلاء لم يتم.. والى لقاء...

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

١٠٦ ــ مايستفاد من الحديث :

١ ــ فضل الفقه في الدين على سائر العلوم.

٢ ــ فضل العلماء على سائر الناس.

٣ ــ ان العلم لايكون بالاكتساب وحسب بل لمن يفتح الله عليهم.

٤ ــ ان الزمان لايخلوا من مجتهد قائم على الحق .

٥ ان المعطى في الحقيقة هو الله تعالى.

١٠٧ ــ مراجع البحث في الحديث :

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ كتب السنة: فتح الباري في هذا الباب وأبواب التوحيد والاعتصام وغيرها شرح العينى على البخارى، والنووى على مسلم، والشيخ الشرقاوى على الزبيدى، والاصابة لابن حجر.

٣ ــ كتب اللغة: معجم الفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة... القاهرة المفردات للراغب الاصفهانى.

القاموس المحيط للفيروزابادي.

كتاب «الدين» للدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز.

٤ ــ جامع بيان العلم لابن عبد البر.

ألف بالبلوى للبلوى ومراجع أخرى مثبته في ذيل الصفحات اعرفوا انفسكم في هذه الأضواء ــ مخطوط للكاتب.

مراجع البحث

العدد الكتـــاب

١ ــ القرآن الكريم، وتفسيرى القرطبي والمنار..
٢ ــ صحيح الامام البخارى
٣ ــ هدي الساري للامام ابن حجر.
٤ ــ صحيح الامام مسلم بشرح النووى، و«تهذيب الاسماء واللغات» للنووى.
٥ ــ وفتح البارى له.
٦ ــ بقية الكتب السنه، وشرح السنة للبغوى.
٧ ــ جامع الأصول في احاديث الرسول للجزرى وطبقات الشافعية للسبكى، وطبقات الحنابله لأبى يعلى.
٨ ــ النهاية فى غريب الحديث والأثر للجزرى.
٩ ــ تقييد العلم للخطيب البغدادى.
١٠ ــ جامع بيان العلم لابن عبد البر.
١١ ــ كتب الرجال.. الاصابه لابن حجر، وأُسد الغابة لابن الأثير، والاستيعاب لابن عبد البر.
١٢ ــ كتب علوم الحديث.
١٣ ــ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى للشيخ الدكتور مصطفى السباعى.
١٤ ــ خلاصة تهذيب الكمال بتعليق الشيخ محمود فايد.. للخزرجى.
١٥ ــ التقريب. لابن حجر.
١٦ ــ أمير المؤمنين فى الحديث «البخارى» لجنة احياء كتب السنة فى القاهرة.
١٧ ــ محاضرات مخطوطه في مختارات من صحيح البخارى اعرفوا انفسكم فى هذه الاضواء للكاتب.
١٨ ــ المجلات الاسلامية في القاهرة والمملكة العربية السعودية ودولة الكويت.
١٩ ــ مراجع أخرى مذكورة فى أسفل الصفحات.



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

